Damascus university journal of Historical Studies
V 149 (1):19-45

مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
المجلد 149 (1): 45-19.

# دور الأميرات السوريات في حكومة روما

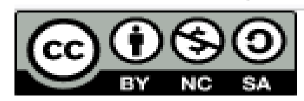
**صفاء حسن مداح[1]، خليل مطانيوس سارة[2]**

[1]طالبة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تاريخ قديم.
safaa.maddah@damascusuniversity.edu.sy
[2]عضو هيئة تدريسية في جامعة دمشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تاريخ قديم.
khalil-sara54@hotmail.com

**الملخص:**

تبوأت جوليا دومنا عرش روما من زواجها بسيبتيموس سيفيريوس وحكمت من خلال أبنها كراكلا، ثم سيطرت أختها جوليا مايسا على العرش من خلال حفيدها الامبراطور إيلاجابال، ولعبت دوراً هاماً في ضل حكم حفيدها الثاني الإسكندر سفيريوس مع ابنتها جوليا دومنا، لتستلم مقاليد الحكم بعد وفاة والدتها جوليا مايسا، لتنتهي حكم الأسرة السورية باغتيال الامبراطور الاسكندر ووالدته، كما نُظهر حياة زنوبيا وزواجها من ملك تدمر أذينة (***Septimus Odenathus***) وصعودها إلى العرش، والسياسة التي اتبعتها في تثبيت أركان دولتها لتناهض وتنشق عن الامبراطورية الرومانية، ولكنها فشلت في ذلك وسقطت أسيرة في أيدي الرومان، وبذلك انطوت صفحة من صفحات المجد المشرقة والتي أضاءتها امرأة عربية عظيمة.

تاريخ الايداع: 2023/12/13
تاريخ النشر: 2024/1/24





الكلمات المفتاحية: حياة جوليا دومنا وزواجها، دور جوليا ماميا في الحكم، أثر الأسرة السورية، حياة زنوبيا وزواجها، صعودها إلى العرش، سقوطها أسيرةً.

# The role of Syrian princesses in the government of Rome

**Safaa Hassan Maddah[1], D. Khalil Mtanues Sarah[2]**

[1]PhD student, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University, Ancient History.[1]

safaa.maddah@damascusuniversity.edu.sy

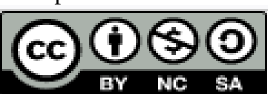
[2]a faculty member at the University of Damascus, Faculty of Arts and Humanities, ancient history.[2]

khali.sara54@hotmail.com

## Abstract

Julia Domna assumed the throne of Rome from her marriage to Septimius Severius and ruled through her son, Caracalla. Then her sister, Julia Maesa, took control of the throne through her grandson, Emperor Elagabalus. She played an important role in the rule of her second grandson, Alexander Severus, with her son, Julia Domna, to take over the reins of government after the death of her mother, Julia. Maysa, to end the rule of the Syrian family with the assassination of Emperor Alexander and his mother. We also show the life of Zenobia and her marriage to the King of Palmyra, Septimus Odenathus, her ascension to the throne, and the policy she followed in establishing the pillars of her state to oppose and defect from the Roman Empire, but she failed in that and fell captive into the hands of the Romans. Thus, a bright page of glory was revealed, which was illuminated by a great Arab woman.

Received: **13/12/2023**
Accepted: **24/1/2024**



## المقدمة:

لعب القدر بزواج جوليا دومنا (***Julia Domna***) الأميرة السورية من مدينة حمص بالقائد الإفريقي سبتيموس سيفيروس (***Septimius Severus***)، ووصوله إلى عرش روما، ليتوفر لجوليا دومنا الفرصة في الحكم من خلال زوجها والعمل على نهضة الامبراطورية وخاصة من خلال العلم وكذلك إدخال المؤثرات الشرقية إليها، والعمل على تقوية المدن السورية، وكذلك إفساح المجال للعائلة السورية للدخول إلى روما خلال أختها جوليا مايسا وابنتيها جوليا سوايماس وماميا وحكمهن لروما من خلال أحفادهم وأولادهم.

نستعرض في هذا البحث حكم الأميرات السوريات في الإمبراطورية الرومانية، واللاتي كان لهن أثرهن البارز في الحكم وإدخال العناصر والمؤثرات الشرقية إليها، وتعد فترة حكمهن من الفترات المهمة التي مرّت على الإمبراطورية. وكذلك حكم الملكة زنوبيا من خلال صعودها على عرش المملكة وطبيعة العلاقات السياسية التي ربطتها مع الامبراطورية الرومانية.

عاشت الملكة زنوبيا ملكة تدمر في القرن لثالث بعد الميلاد، وغيرت الخارطة الجغرافية والتاريخية للعالم الروماني في الشرق، حيث امتدت امبراطورية زنوبيا من حوض نهر النيل المصري غرباً، حتى الفرات ومصباته في الخليج لبلاد الرافدين شرقاً.

ونرى بالتالي حياة تدمر الزاخرة بحركة تجار القوافل وبداية حضارة جديدة أو بالأحرى تجدد الحضارة الشرقية، وغلبتها بثقافتها وبتعاليمها للعالم الغربي، وذلك عبر حكمة زنوبيا، وشخصيتها الاستثنائية التي فهمت المستقبل ، فعملت على عودة شعلة الحضارة إليه بعد ذلك لفترة طويلة في الشرق.

وبذلك نستطيع القول أن أبواب النفوذ السوري في روما قد فُتح على مصراعيه عندما نجح سبتيموس سيفيريوس ( ***Septimius Severus***) بالوصول إلى عرش الامبراطورية أواخر القرن الثاني في عام 193م وكانت زوجته من حمص وهي جوليا دومنا (Julia Domna) وانتهى بسقوط ملكة تدمر زنوبيا (Zenobea) في عام 270 م.

وتطلبت طبيعة البحث التعريف بشخصية جوليا دومنا وجوليا مايسا وجوليا ماميا وأثرهن في سير الأحداث التاريخية وفي حكم الإمبراطورية الرومانية، ونهايتهن، وكذلك التعريف بشخصية زنوبيا وحياتها ووصولها إلى العرش، وتوسعاتها، وعلاقاتها مع الرومان وكيف انتهت، واعادة السيطرة الرومانية على تدمر وباقي المناطق.

واعتمدنا في انجاز هذا البحث على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع التي عنيت بتاريخ الأميرات السوريات، وتاريخ تدمر وزنوبيا، أدرجناها في نهاية البحث في قائمة الهوامش والمصادر.

تبرز إشكالية البحث في السؤال الرئيس: ما أثر الأميرات السوريات على مدينة روما، ويتفرّع عن السؤال الرئيس أسئلة فرعية: كيف وصلن الأميرات إلى عرش الحكم؟ ماهي التغيرات التي وضعوها في كافة المجالات، وكيف وطدن حكمهم؟ وماهي نهايته؟

تبرز أهمية البحث في الإجابة عن الأسئلة السابقة، ودراسة واقع مدينة روما في ضل حكمهن، وتبيان الدور الذي قامت به زنوبيا منذ اعتلائها العرش حتى سقوطها.

**هدف البحث:** بيان أثر الأميرات السوريات في مدينة روما ، وبيان أهمية وصول زنوبيا كملكة على عرش مدينة تدمر وجعلها امبراطورية تنافس فيها الامبراطورية الرومانية، ودراسة توسعاتها وفتوحاتها، و كيفية سقوطها أسيرة على يد الامبراطور اورليان.

**الدراسات السابقة:** هناك عدة دراسات تناولت الحديث عن الأميرات السوريات والملكة زنوبيا مثل: أميرات سوريات حكمن روما لجود فري تورتون، امبراطورات سوريات لجان بابليون العلاقات السياسية بين تدمر والرومان حتى عام 273م لقيس الجنابي

الأوراق السرية لملكة تدمر لبرنار سيميوث

**منهج البحث:** استخدم في البحث المنهج التاريخي، والوصفي، أمّا مصادر البحث فاعتمدنا على

1- Historia Augusta,The life of Aurelian.
2- Cassius Dio, Roman History, 75.
3- Historia Augusta, The Life of Septimius Severus
4- Herodian: Roman History.
5- Historia Augusta, The Life of Severus Alexander.
6- Historia Augusta, Gallieni.

وعلى عدة مراجع عربية ومعربة ومراجع أجنبية

أولاً: جوليا دومنا (**Julia Domna**):

**1- حياتها:**

ولدت جوليا دومنا في أسرة آرامية كهنوتية نبيلة، تقوم على عبادة الشمس( إيلا غابال) (Elagabal) في مدينة حمص، وكان والدها باسينوس سليل الكهنة ومن الملوك الوراثيين الذين حكموا المدينة ولكنه جُرد من سلطته الزمنية بتأثير الفتح الروماني (بابليون، 1987، 31)، وكان اسمها دومنا تحريف عن الكلمة السورية الآرامية مارتا والتي تعني السيدة (حتي، 1999، 379)، وقد تلقت جوليا دومنا تعليماً رفيع المستوى ، فنشأت ذات خبرة واسعة في الفلسفة والأدب والفنون، ومكنها ذكاؤها واجتهادها من تحصيل نصيب وافر من العلوم(بابليون، 1987، 34)، كما جمعت كل مفاتن الجمال بالإضافة إلى روعة الخيال ورصانة العقل وقوة الحكم، مما ميزها عن الفتيات الأخريات (جيبون، 1997، 127)، وأيضاً كانت من دعاة عبادة الشمس (Elagabal) والتي كانت تمارسها وهي متوجة باللباس الرسمي لخادمات "أرتميز إيفيز" ناشطات الآلهة الهلينستية الواتي يُسمون " الكوز ميتيرياي" أو سيدات الأثواب المقدسة (بابليون، 1987، 35).

**2- زواجها من سيبتيموس سفيريوس** (Septimus Severus):

ولد سيبتيموس سفيريوس عام 145 م، وهو من أصل كنعاني من مدينة لبتيس (Leptis) (لبده حالياً بالقرب من طرابلس) في ولاية افريقيا ذات الصبغة والحضارة البونية (الفينيقية) وكان الامبراطور الوحيد في التاريخ الذي قدم من قارة أفريقيا، كما كان لا يجيد اللاتينية وظل يتكلمها برطانة طيلة حياته، وقد اعتلى العرش في عام 193م، وادعى الانتساب إلى ماركوس أوريليوس (***Marcus Aurilus***) على أنه تبناه ولكن هذا التبني حصل بعد وفاة ماركوس وكان مزوراً، ولكنه بفعلته هذه اتصل بالأسرة الانطونية* (حتي، 1999، 377-378). وكان هناك عدة علامات كما يذكرها المؤرخ ديو كاسيوس تنبأ بوصوله إلى عرش الامبراطورية ومنها: "عندما تم قبوله في مجلس الشيوخ، حلم أنه كذلك رضعته ذئبة تماماً كما حدث مع رومولوس. عندما كان على وشك الزواج من جوليا، قامت فوستينا، زوجة ماركوس، بإعداد غرفة زفافهما في معبد فينوس بالقرب من القصر. وفي مرة أخرى انفجر من يده ماء كما من نبع وهو نائم.... ولكن أيضاً عندما كان مستيقظًا، كان قد جلس، وهو لا يزال شابًا، على العرش الإمبراطوري بسبب الجهل" (Dio Cassius 3.75).

* الأسرة الأنطونية: حكمت الأمبراطورية الرومانية مابين 96 -180 م، أي حكموا معظم القرن الثاني، وصلت الامبراطورية الرومانية إلى أوج اتساعها وازدهارها، كان آخر أفرادها الامبراطور ماركوس أوريليوس الفيلسوف الرواقي. انظر: (تورتون، 1987، 11)

كما أحدثت زيارة سيبتيميوس إلى معبد الشمس (ايلا غابال) في حمص التعرف إلى جوليا دومنا والتي كانت تؤمن بالسحر وبما يخبئ لها الطالع، حيث بشرتها النجوم بزواج ملكي (بابليون، 1987، 54)، وتوافقت نبوءتها وطموحها الجامح ورغبات سفيروس في الزواج في ذلك الوقت بعد وفاة زوجته الأولى (تورتون، 1987، 20–22)، "وايمانه بالسحر والتنبوءات حيث تنبأت له كاهنة معبد أفاميا بالاقتران بأميرة سوف تجلب له الحظ والسعادة" (Historia Augusta. The Life of Septimus Severus)، المكانة الدينية التي تتمتع بها جوليا دومنا والتي تتوافق مع أفكار سفيروس، والثروة المالية التي كانت تمتلكها عائلة دومنا وخاصة وأنها كانت في خدمة آلهة المعبد منذ القدم ولها سلطة سياسية كبيرة جمعت حولها احترام ومحبة الناس، وهذا ما يتوافق مع طموحه. (بابليون، 1987، 54)، وبذلك فقد تم الزواج في عام 187م. (تورتون، 1987، 20–22).

وغدت جوليا دومنا سنداً وعوناً لزوجها خلال مسيرته، "وبواسطتها أصبح أبًا، ولأنه كان صارمًا ومشرفاً ومنضبطاً، فقد أحبه الغاليون كما لم يكن أي شخص آخر" (Historia Augusta, The Life of Septimius Severus 4.1-2) لذلك أعطى ابنه اسم باسيانس (***Bassianus***) نسبةً إلى جده، واسم كراكلا (Caracalla) الذي قد حصل عليه بسبب نوع من الجبة الغالية* التي أُدخل استعمالها، كما أنه ولد هو نفسه في ليون (Lyone) في بلاد الغال(حتي، 1999، 378).

وبقيت جوليا دومنا ترافق زواجها وتسانده خلال حكمه لبانونيا بصلاحيات حاكم، ثم بعد ذلك حينما عُين حاكماً لمقاطعة صقلية الموالية، ثم توليه القنصلية. وفي روما، في هذه الأثناء، رُزقا بابنهم الثاني جيتا(Geta) (Historia Augusta, The Life of Septimius Severus 4.1-2).

وعندما سيطر على عرش روما وأصبح امبراطوراً أجرى تعديلات جذرية تناولت البنية الأساسية للإمبراطورية، وهي أن يورث أبنائه سلطته، لذلك عمل على اشراك ابنه كراكلا معه بالحكم، مما أدى إلى إعلان مجلس الشيوخ الحرب علانية عليه، ودامت حتى قضى قضاءً مبرماً على كل معارضة من هذا المجلس( رستوفتزف، 1957، 474–475)، وفي سبيل ذلك أيضاً فقد "أعطى ابنه الأكبر باسيانوس اسم أوريليوس أنطونيوس ولقب قيصر وذلك لتدمير أي آمال في الخلافة. العرش الذي تصوره شقيقه جيتا. وكان سبب تسميته لابنه أنطونيوس هو أنه حلم بأن أنطونيوس سيخلفه. ويعتقد البعض أنه بسبب هذا الحلم ؤ سمي جيتا أيضًا أنطونيوس، حتى يتمكن هو أيضاً من اعتلاء العرش".(Historia Augusta, The Life of Septimius Severus 10.2 -5)، "وبذلك فقد دخلت جوليا دومنا السورية معترك الحياة مع زوجها، الذي كان أقل حذراً معها" (Historia Augusta, The Life of Septimius Severus18. 8) فغدت العون له، وتم منحها بموافقة مجلس الشيوخ لقب المبجلة (***Augusta***) وأيضاً (***Pia, Felix, Mater custrorum, Mater augustorum, senatus patria***) (شيفمان، 1987، 244)، وتولت رئيسة ديوانه، تشاركه في الحكم، وتقف خلف الكثير من آرائه الصائبة، كما لازمته في حملاته العسكرية. ونظراً لولعها بالأدب والفلسفة والعلوم جعلها تترأس الكثير من مجالس العلماء والفلاسفة في بلاطها والذين كان أغلبهم من السوريين، حيث ضمت إلى مجمعها العلمي رجل القانون بابنيان السوري (***Aemilius Papinianus***) الذي تمتع بمكانة بارزة في بلاط روما وكان قريباً لها وصديقاً شخصياً لسبتيموس سيفيروس وحاكماً للمعسكر بين عام 205م وحتى موته في عام 212م (صائب، 1994، 188–189).

---

* الجبة الغالية: وهي عبارة زي خاص مصنوعًا بطريقة أجنبية إلى حد ما من قطع صغيرة من القماش تم حياكتها معًا في نوع من العباءة. انظر (Dio Cassius, 79, 3)

ورجل القانون اولبيان (***Ulpian***) من مدينة صور، الذي درس الحقوق في روما، وعين رئيس محكمة في عهد ايلاغابال واسكندر، ألف مايزيد عن الثلاثين كتاباً في الحقوق وحوالي 2500 نبذة جُمعت تحت عنوان (مجموعة قوانين ***Digeste***). وأيضاً ديوجينيس لاريتوس (***Diogenes Laertius***) الذي ولد في مدينة لائرتة من مدن كيليكيا، اشتهر بتقصي أحوال الرجال العظام، وكتابة تراجم المؤرخين الإغريق في عشرة أجزاء بعنوان (جياة وآراء مشاهير الفلاسفة) (صائب، 1994، 190)، وديو كاسيوس (***Dio Cassius***) المؤرخ والموظف في الدولة(حتي، 1999، 379)، وفيلوسترات الفيلسوف السفسطائي السوري الذي ألف لها كتاباً بعنوان (حياة أبوللينوس التياني) على شكل رواية فلسفية (صائب،204,1994 )، وكان أيضاً بينهم جالينوس (**Galenus**) الطبيب الإغريقي الشهير(حتي، 1999، 379) كما اعتمدت على شقيقتها جوليا مايسا التي جاءت معها من حمص، مع ابنتيها الشابتين الجميلتين(صائب،68,1994 ).

وبذلك فقد تمتعت جوليا دومنا بمكانة اجتماعية رفيعة لا كزوجة امبراطور ووالدة ولي العهد فحسب، وإنما كسيدة لها سلطة سياسية حقيقية ، وهذا ما برزته الأحداث في عهد أبنيها كراكلا وجيتا – وإن دلت على شعبية العائلة الحمصية الكهنوتية، والتي كان لها دوراً هاماً في الحياة السياسية السورية– (شيفمان، 1987، 244).

قامت جوليا دومنا وزوجها الامبراطور سيبتيموس سفيروس بأهم عمل وهو صبغ الأمبراطورية الرومانية بالصبغة الشرقية العربية، والذي شمل مختلف مظاهر الحياة، واعًتبرت هذ الفترة بداية لتأريخ أهم مرحلة في التاريخ الغربي، وهي اضمحلال الامبراطورية الرومانية وبداية سقوط الغرب (تورتون، 2017، 5).

**3- وفاة سبتيموس:**

"في السنة الثامنة عشرة من حكمه، وهو الآن رجل عجوز وتغلب عليه مرض خطير، توفي في إيبوراكوم في بريطانيا، بعد إخضاع العديد من القبائل التي بدت بمثابة تهديد محتمل للملكية. وترك ولدين هما انطونينوس باسيانوس وجيتا"

(Historia Augusta, The Life of Septimius Severus 19.1)، ولكن التناحر بين الأخوين والحقد والكراهية قد تأججا بعد وفاة والدهما ولم تستطع جوليا دومنا الوفاق بينهما، والذي أدى إلى تدبير كراكلا لمؤامرة قتل فيها أخيه جيتا وهذا مايخبرنا به المؤرخ ديو كاسيوس:

وبما أن العديد من الجنود والرياضيين كانوا يحرسون جيتا، سواء في الخارج أو في المنزل، ليلا ونهارا على حد سواء، فقد حث أنطونيوس والدته على استدعائهما إلى شقتها دون مراقبة، بهدف التوفيق بينهما. وهكذا اقتنع جيتا ودخل معه. ولكن عندما دخلوا، اندفع إليهم بعض قواد المئات، الذين أمرهم أنطونيوس مسبقا بذلك ، وضرب جيتا أرضًا، فركض إلى أمه عند رؤيتهم، وتعلق حول رقبتها وتشبث بصدرها، وهو يندب ويصرخ: "الأم التي ولدتني، الأم التي ولدتني، ساعديني! أنا أتعرض للقتل". وهكذا، بعد أن خدعت بهذه الطريقة، رأت ابنها يموت بين ذراعيها ...ولكن لم يكن مسموحًا لها أن تنوح أو تبكي على ابنها، مع أنه كان قد لقي نهاية بائسة قبل مجيئه (كان عمره اثنتين وعشرين سنة وتسعة أشهر فقط)، بل على العكس من ذلك، اضطرت إلى الفرح. وتضحك كما لو كنت تضحك على حظ عظيم، .... وهكذا، فهي وحدها، أوغوستا (**Augusta**)، زوجة الإمبراطور وأم الأباطرة، لم يُسمح لها بذرف الدموع حتى على انفراد بسبب هذا الحزن الكبير(Dio cassius, 78,2.1-6).

**4- اعتلاء كراكلا العرش:**

بعد قتل كراكلا لأخيه جيتا، خرج مسرعاً نحو المعسكر كما لو أنه نجا من مؤامرة، وخطب بالجند ليخبرهم على طريقته بالحدث المشؤوم وقدم لهم الوعود والأموال، وهذا مايخبرنا به ديو بقوله:" استولى أنطونيوس على الجحافل، على الرغم من حلول المساء،

بعد أن صرخ طوال الطريق، كما لو كان هدفًا لمؤامرة وأن حياته في خطر. عند دخوله المعسكر هتف: "افرحوا أيها الجنود، لأني الآن في وضع يسمح لي أن أقدم لكم معروفاً. وقبل أن يسمعوا القصة بأكملها، سد أفواههم بوعود كثيرة وعظيمة لدرجة أنهم لم يتمكنوا من التفكير أو قول أي شيء لإظهار الاحترام اللائق للموتى " **(Dio cassius. 78.3)**

واتجه أيضاً نحو مجلس الشيوخ لكي يبرر فعلته بتذكيرهم بذكريات روما الأسطورية بقوله: ألم يجد رومولوس نفسه مظطراً للتضحية بأخيه في سبيل مستقبل الوطن، كذلك لجأ إلى المشرع بابنيان وقائد الحرس والصديق القديم لأبيه لتبرئته، لكنه رفض أن يضع علمه وفصاحته في خدمة قاتل كما فعل سينكا أيام نيرون لتبرئته من قتل أمه أغريبيا، وأجاب " أن قتل الانسان لأخيه أسهل من أن يغفر الناس له ما ارتكبت يداه، وأن الموافقة على الجريمة معناها أن يقتل الضحية مرتين"، فقام بقتله ، وهذا ما أورده ديو كاسيوس بقوله: " وقتل أيضًا العديد من الرجال المتميزين، بما في ذلك بابينيان" **(Dio cassius. 78.3)**.

وما كان من والدته جوليا دومنا أن لملمت جراحها واستعادت قواها لتقف إلى جانبه وتحكم معه كما لم تحكم من قبل بجانب زوجها سيبتيموس سيفيروس، وكانت شركتهما في السلطة وثيقة بحيث لن تكون أقوى لو أنهما كانا متواطئين على ارتكاب جريمة كانت ذكراها ماتزال في الأذهان، فكانت الأم القوية والسند الأمين الذي يستطيع كراكلا الاعتماد عليه في أثناء غيابه وقيامه بالحملات العسكرية، وأسند إليها التصرف بالشؤون الإدارية في الامبراطورية، حيث وجدت جوليا دومنا في ذلك هدفاً لتحقيق طموحها بأن تغدو الحاكم الفعلي المتصرف بشؤون الامبراطورية، فكرست جهدها في الأمور الادارية والخدمات الاجتماعية ومجالس العلم والتثقيف الذي كانت تديره في بلاطها، (بابيلون، 1987، 198) وهذا مايؤكده ديو بقوله: "ومع ذلك فقد عينها لتلقي الالتماسات والمسؤولية عن مراسلاته باللغتين، إلا في الحالات المهمة جدًا، وكان يدرج اسمها، من حيث الثناء العالي، إلى جانب اسمه واسم الجحافل، في رسائله إلى مجلس الشيوخ تفيد بأنها بخير. هل يجب أن أضيف أنها أقامت حفلات استقبال عامة لجميع الرجال البارزين، تمامًا كما فعل الإمبراطور؟ ولكن بينما كرست نفسها أكثر فأكثر لدراسة الفلسفة مع هؤلاء الرجال" ( Dio cassius, 78.18)، ونستنتج من هذا أن جوليا دومنا كانت الحاكم الفعلي للإمبراطورية، وأنها الإمبراطورة التي تمتعت برجاحة عقلها وموضوعيتها في الحكم من حيث وقوفها إلى جانب أبنها الذي قام بقتل أخيه الصغير طمعاً في العرش.

وهكذا وجد كراكلا في أمه الوزير الذي لا يخون، إذ كانت حريصة كل الحرص على ممارسة ما ألقي على عاتقها بكل فطنة وحسن إدراك للأمور، مستعملة طريقتها المؤكدة للنجاح، وتفرغه هو للجيش الذي وجد فيه منافذ لقلقه الدائم وتوتر أعصابه وهيجانه المستمر (بابليون،1987، 200).

وإذا كانت الإدارة قد نجحت خلال حكمه فإن الفضل في ذلك يعود إلى حسن إدارتها، فقد أثبتت جدارتها ورجاحة عقلها في أن تدع شعورها الشخصي يعطل اجتهادها السياسي، كما يعود لها الفضل بالسعي وراء تحقيق التوازن النقدي سواء في وقوفها ضد مظاهر الفساد والسرقات أو في التخفيف من حدة النفقات الباهظة التي ينفقها كراكلا خلال حروبه وبشكل خاص في البذخ اللامحدود الذي أنفقه على الحرس البريتوري وعلى قواده وجنده (Bouchier, 1926, 97).

كما كان البريد كله يمر بين يدي الامبراطورة جوليا دومنا المقتدرة التي كانت مكاتبها تحت إشرافها ومنظمة أفضل تنظيم، ولا بد أن المستشارين القانونيين كانوا يساعدونها كثيراً، كما كان اسمها يقرن رسمياً مع اسم الامبراطور على كل المستندات والوثائق، وكان لها حرس بريتوري خاص بها مهمته أن يؤكد هيبتها وجلالتها (بابليون،1987، 201).

لم يمكث الامبراطور في روما بعد قتل أخيه جيتا حيث تركها في عام 212م وذهب إلى بلاد الغال ثم سافر إلى ريسيا – مقاطعة تمتد على التيرول وشمالي لومبارديا– مصطحباً معه قائد الحرس ماكرينوس (Macrinus) ووالدته جوليا دومنا، ثم سافر

إلى انطاكية حيث استقرت جوليا دومنا في الشرق ما بين عامي 214–215م وهناك لازمتها أختها جوليا ماسيا (***Julia Maesa***) وبناتها جوليا ماميا (***Julia Mamaea***) وجوليا سوايماس (***Julia Soaemias***) حتى عام 217م .

وفي عام 215م تابع كراكلا سفره إلى الاسكندرية وقد أخضعها كاملة لحكمه، ثم قاد حملته ضد البارثيين في عام 216م، ودخل جيشه عاصمتهم طيسفون التي تعرضت لأقسى أنواع السلب والنهب في عام 217م، ثم عاد إلى إديسا (الرها) ليقضي الشتاء، أما جوليا دومنا فقد اختارت انطاكية لتكون مقرها، ولكن أدى هذا الغياب عن روما إلى نمو الأحقاد ضدهم، وكان من بينهم قائد الحرس البريتوري ماركوس أوريليوس ماكرينوس (***M. Opellius Macrinus***) الأفريقي ذو الأصل الوضيع ويتصف بأذن مخرومة على طريقة المغارية(بابليون،1987، 205–209)، وقد استغل عزم الامبراطور على الحج إلى حران الشهيرة بمعبدها ويقال أنها كانت موطن النبي ابراهيم، ليحصل على بركات هذا المعبد، ودفع بـ الجندي مارتياليس (***Martialis***)، الذي قام بطعنه بخنجر بين أضلاعه، وبذلك كانت نهاية الامبراطور اغتيالاً مثل سابقيه من الأباطرة (تورتون، 1987، 171).

**5- نهاية جوليا دومنا:**

لقد مات كراكلا في عام 217 م وعمره تسعة وعشرون عاماً، وحزن الجنود حزناً شديداً فقد أحبوه لكرمه ولمعاملته الحسنة وتواضعه معهم، أما والدته جوليا دومنا فقد هالها تتابع تلك الحوادث المرعبة، فقد حزنت ليس لخسارتها أبناً، بل لأنها خسرت امبراطوراً لم يترك له خليفةً أو وريثاً سواء بالدم أو بالتبني لاستمرار تلك الأسرة الامبراطورية، فقد أصبحت كل منجزاتها ومنجزات زوجها مهددة بالفشل الذريع، ولم تستطع أن تشحذ الهمم وتقف بوجه ماركينوس بسبب مرضها وحزنها، في الوقت المناسب، حيث بعث ماكرينوس بجنوده وحاصروا غرفتها، ولكنها رفضت الطعام أو الشراب بعد أن اعتراها الضعف وخيبة الأمل، وماتت وهي في الخامسة والأربعين من عمرها(تورتون، 1987، 172–173). وكان موتها وموت أبنها بمثابة الفاجعة للأسرة السورية الحمصية، التي طابها حكم الامبراطورية، ولكن اصرار هذه الأسرة على الحكم وعدم التخلي عن عرشها التي وصلته، أدى إلى ظهور جوليا مايسا لتسيطر على الوضع المستبد بهم وتأخذ زمام الأمور بحنكة وذكاء وتعيد للأسرة السورية مكانها، وهذا ما سوف نتحدث به.

**ثانياً: وصول ايلاجابال إلى العرش:**

بعد قتل كراكلا على يد أحد ضباطه بإيعاز من رئيس الحرس، شبت حرب أهلية قصيرة عقب إعلان ماركرينوس إمبراطوراً، ولم يكن الجيش بعد أن عاش برفاهية في زمن كراكلا، وبعد أن مُلئت قلوب الجنود في بر أسرة سفيريوس، ليرغب في الاعتراف برجل ليس من هذه الأسرة، وأن يبقوا على ولائهم له.

وعندما ظهر منافس في شخص وهو شاب يدعى باسيانوس ولقبه ايلاجابال، كان رئيساً لكهنة إله حمص، فضله الجنود فوراً على ماكرينوس (روستوفتزف، 499). وقد لعبت جوليا ماسيا (***Julia Maesa***) انظر الشكل (2) أخت جوليا دومنا دوراً كبيراً في اظهار حفيدها على أنه الوريث الشرعي لكراكلا (***Caracalla***)، واعتمدت على الاشاعات التي تقول أن باسيانوس هو ابن كراكلا بعد تلك العلاقة الغرامية التي حدثت بين كراكلا وسويايماس (***Julia Soaemias***) قبل مولده، وقد أصبح في الرابعة عشرة من العمر وأصبح شخصية مرموقة في المدينة يقوم بواجبات الكاهن الأعظم الوراثية في حمص، وبذلك قررت جوليا ماسيا أن هذا الشاب هو المرشح الوحيد لمنصب الامبراطورية.(Lightman, 2008,166, ). ويحدثنا هارديان عن شجاعة جوليا ماسيا (Julia Maesa) ومخاطرتها لإرجاع عرش الامبراطورية المُغتصب من قبل ماكرينوس بقوله: وهكذا انسلت خارج المدينة ليلاً دون أن يلاحظها أحد مع بناتها وأحفادها، ووصلوا إلى جدار المعسكر، بإرشاد من الجنود الذين فروا من الخدمة، وتم استقبالهم بحرارة في الداخل. وعلى الفور حيا الجيش بأكمله باسيانوس على أنه "ابن كراكلا"، ولفوه بعباءة عسكرية أرجوانية، وأبقوه داخل

المعسكر. ثم، بعد أن جلبوا جميع الإمدادات من القرى والحقول المجاورة، مع النساء والأطفال، واستعدوا لتحمل الحصار إذا لزم الأمر (Herodian, 5.3.11–12).



**الشكل (2) صورة جوليا ماسيا**

**انظر: ((Lightman, 2008, 167 ))**

أُخترع لهذا الامبراطور اسم ايلاجابال (***Hiliogablus***) وبدأ حياته كإمبراطور، من خلال تحكم جوليا مايسا بدفة الحكم، فقامت بأعمال التسامح والسمو، حين أوقفت الجنود عن نهب المدينة وعن القتل والاغتصاب، بدفع لهم مبلغاً لا بأس به من النقود، وعمدت إلى تسريح قسم من الجيش وارسال أفراده إلى بيوتهم وأوطانهم بعد استتباب الحكم لها، وانتقالها مع ايلاجابال وبناتها، من انطاكية إلى نيكوميديا لتكون أقرب على روما، كما أعلنت من خلال حفيدها هذا أنها لن تعاقب أو تحاسب أي شخص لقاء مساعدتهم لماكرينوس في الماضي.

لم تكن جوليا ماسيا والتي كانت قاسية القلب، محبة للانتقام، وتفضل الوصول إلى أغراضها بالطرق الدبلوماسية، وعند اللزوم لم تكن تتورع عن ايقاع الضربات الحاسمة، فقد كانت تعامل مجلس الشيوخ الروماني بازدراء، وكان مستشارها الأول هو جانيس (***Gannys***) والذي يعود له الفضل في القضاء على الفتن والاضطرابات التي حاولت القضاء على الامبراطور.(تورنتون، 1987، 192).

لقد لعبت جوليا ماسيا دوراً مهماً في ارجاع سلطة الأسرة بحكم حفيدها كإمبراطور، وكان مركزها يدل على السمو الاجتماعي وهي تتقبل تحيات الجميع واحترامهم كأوغسطا، كما تمتعت بالنفوذ السياسي الحقيقي في الدولة، وكانت أول امرأة في التاريخ الروماني تدخل مجلس الشيوخ لتشارك في المناقشات، وقد اعتمد حفيدها عليها في حكم الدولة كما اعتمد كراكلا على جوليا دومنا.(تورتون، 1987، 197). فقد كانت على معرفة عميقة بالسياسة والمكائد في روما من إقامتها الطويلة وقربها من البلاط الامبراطوري الذي كانت لها مهارة الاندماج فيه اندماجاً كبيراً، ولها خبرة أكثر دقة بالنفسية الرومانية ومتطلباتها وما تنفر منه.(بابليون، 1987، 219)

لكنها لم تنجح بتغيير سياسته الدينية وقبوله ارتداء الرداء الروماني الامبراطوري عند دخوله روما، واصراره على لبسه للملابس الشرقية الدينية وتزيُنهِ بالعقود والأساور ومتوج بلباس رأس ذهبي تصحبه دندنة النايات والطبول، بل حاولت النزول تحت رغباته لكي لا يمنعها من حكم الامبراطورية باسمه، ومنها أيضاً جلب الحجر النيزكي الذي يمثل الإله ايلاغابال (***Elagabal***) في حمص (***Emesa***) .(تورتون، 1987، 192)– حيث كانوا يمثلونه على هيئة حجر مخروطي الشكل، وكان يسود الاعتقاد بأنه سقط من

السماء إلى هذه البقعة المقدسة- (جيبون، 1997، 136)، والذي سبب الامتعاض الشديد لجوليا ماسيا ولمجلس الشيوخ الذي فُرض عليهم المشاركة بالطقوس والرقص حول الحجر مرتدين لباس تشبه لباس الكاهن الأعظم. (تورتون، 1987، 192-195)، وربما يُعرف عن تصرفات ايلاجابال الدينية أنه أراد خلق دين عالمي، دين يقبله كل انسان، وتقديس سلطان الامبراطور بوصفه ممثل الإله على الأرض، (روستوفتزف، 1987، 499) وكان هذا يعني أن السلطة الحقيقية في الامبراطورية قد أصبحت في أيدي كهنة حمص – مركز هذه الديانة –، كما كانت حمص مرشحة مستقبلاً لأن تأخذ مكان روما كمركز للإمبراطورية برمتها، لكن ذلك لم يأتي ثماره فمقتل ايلاجابال قضى على هذه الآمال (شيفمان، 1987، 245). وهنا نطرح السؤال الآتي، ماذا لو كتب لحمص أن تأخذ مكان روما وتصبح هي مركز الثقافة والعلوم والسياسة والديانة؟ لربما تغير التاريخ كله، وبقيت ديانة الإله ايلاغابال مستمرة لفترة أطول، وربما قضت على الديانة المسيحية التي كانت تظهر في تلك الفترة.

ومن الناحية العسكرية لم يهتم ايلاجابال بالجيش، وأمر بعدم ذكر أية معارك حربية في النصب المنقوش الذي أقيم تكريماً له، قائلاً: "لا أحتاج أن القب بألقاب الحرب وسفك الدماء. يكفي أن تكتبوا أنني كنت أخاف الإله وأحب جلب الفأل الحسن"، وأيضاً قام بتعيين أصدقائه المدللين في مراكز حساسة مريحة في الجيش الذين هم من أصول وضعيه وليس لديهم المؤهلات العسكرية، مما سبب الغضب وعدم الرضا من قبل الجنود الذين أساؤهم السمع والطاعة لضباط لم ينالوا شيئاً من التدريب بل ويأخذون رواتب أعلى من أي ضابط في الجيش(تورتون، 1987، 198-199). ونستنتج هنا أن جوليا مايسا لم تستطيع تغير سياسته والسيطرة عليه وأن تحكم بدلاً منه، ويبرر سكوتها هذا في خوفها من ابعادها عن الحكم أو التخلص منها.

ومن ناحية الشؤون الإدارية عملت والدته سوايماس على ابتكار مجلس شيوخ نسائي يعقد جلساته في الكيرينال (احدى التلال في روما)، لتنظيم أحوالهن وسلوكهن وأزيائهن والمراسيم والاستقبال والبروتوكول، تقوم هي على رئاسته، وفي الواقع لم لكن يمثل هذا المجلس سوى البذخ المبتذل(حاتم، 1962، 168)

وعندها أدركت جوليا ماسيا بذكائها وحنكتها ماذا سيحل بهذا الإمبراطور الغارق بملذاته وطقوسه الدينية، وتصرفاته المسيئة وخاصة أنه ليس له وريث، ودفعت بحفيدها اليكسيانوس (***Alexianus***) – الذي لُقب بالاسكندر سفيريوس ( ***Severus Alexander***) فيما بعد، وأصبح شاباً دمثاً في ذلك الوقت يبلغ من العمر 12 عاماً، وكانت أمه جوليا ماميا مطيعة لأمها جوليا ماسيا وتشبهها في أخلاقها وجلدها- إلى الساحة السياسية، فطلبت من ايلاجابال تبنيه وتعيينه قيصراً وولي عهد للإمبراطورية الرومانية (Lightman, 2008, 167 )، بحجة التخفيف من أعباء الحكم وتفرغه للممارسة الطقوس الدينية واعلاء شأن الإله ايلاغابال (***Elagabal***)، حيث حرصت جوليا ماسيا على تعليمه وجعلته يعيش في جناح خاص ومعه أساتذة يشرفون على تعليمه ومنهم كان رجل القانون الشهير اولبيان (***Ulpian***) وهو تلميذ بابنيان (تورتون، 1987، 198-199)، وبذلك أصبح الأمير المحبوب الرجل الثاني في الدولة، وكسب محبة الشعب، ولكن أثار حقد الطاغية ايلاجابال وحاول التخلص منه ولكنه فشل بسبب حرص والدته جوليا ماميا عليه، لذلك أصدر حكماً جرد ابن خالته من لقب قيصر ومن أمجاده، مما أثار حمية المعسكر وغضبه، وأقسم الحرس البريتوري على حمايته والثأر لكرامة العرش التي أُمتهنت وتمت المصالحة على أساس شروط التبعية المذلة، ولكن الإمبراطور الشاب لم يسكت وأذاع نبأ وفاة الاسكندر، فاشتد هياج الجنود لموته ولم تهدأ إلا بعد ظهور الاسكندر برفقة والدته. ومن ثم أقدم على معاقبة بعض قادة الفتنة، ولكن ثبت على الفور أن شدته التي جاءت في غير أوانها كانت وبالاً عليه وعلى أمه سوايماس، فقد ذبحه البريتوريون الساخطون مع والدته، وجروا جثته في شوارع المدينة (جيبون، 1997، 139).

بالرغم من الأحداث التي مرت بها روما في فترة حكم الامبراطور ايلاجابال (218–222م) إلا أنها تُعد أكثر الفترات التي مرت بها روما تأثراً بالطابع السوري والتي انتقلت إلى روما بشخصه (ورد، 1956، 55).

**ثالثاً: تولي الاسكندر عرش الامبراطورية:**

1. **الأسكندر سفيروس** (Severus Alexander):

رفع الحرس البريتوري الاسكندر على العرش مكان ايلاجابال، وأطلق عليه الشيوخ لقب "العظيم"، ولأنه كان بعمر الستة عشر من العمر أي مازال صغيراً جداً على ممارسة السلطة بشخصه.(بابليون، 1987، 252)، مما جعل جوليا ماسيا وجوليا ماميا والدته بالسيطرة على مقاليد الحكم أيضاً، كما وعملوا على إحاطة الإسكندر بمجلس وصايا بموافقة مجلس الشيوخ، يتألف من ستة عشر من أرجح شيوخه عقلاً وأفضلهم، تناقش أمامه أهم المسائل الساعة ويُبت فيها، وكان على رأسهم اولبيان (***Ulpian***) المشهور الذي تميز بحسن درايته وباحترامه لقوانين روما. وبذلك فإن تعاون جوليا مايسا وإدارتها الحكيمة مع مجلس الشيوخ أدى إلى إعادة النظام والسلطة إلى الحكومة، وسرعان ما طُهرت المدينة من الخرافة والبذخ الغربين عنها– ماخلفته نزوات ايلاجابال– وتعيين ذوي الكفاية والفضل في وظائف الإدارة العامة، كما جعل التعليم وحب العدالة هما المؤهلين الوحيدين للوظائف المدنية، والشجاعة وحب النظام للوظائف العسكرية (جيبون، 1997، 141)، وبالنسبة للديانة، فقد تم ترحيل الحجر النيزكي إلى سوريا في اليوم التالي من سقوط ايلاجابال، وأصبح من الواجب اخلاء المكان لعبادات أقل ميوعة، وقد عملت جوليا مايسا على تسمية الاسكندر على النقود وبقصد واضح باسم كاهن روما، فاتجهت بذلك الإلوهية العليا هذه المرة نحو الرومانية، وكانت تلك سمة أخرى لسياسة ماهرة من قبل جوليا مايسا وجوليا ماميا(بابليون، 1987، 252-253). ويعرض هيروديان تقويماً عاماً لحكم الإسكندر ودور جدته وأمه فيه، بقوله:

عندما استولى الاسكندر على السلطة توشى بالحلة الامبراطورية ولكن النساء هن اللواتي أدرن شؤون الحكم وحاولن اعطاء كل اجراء مظهراً عقلانياً لائقاً. فقمن قبل كل شيء باختيار ستة عشر شيخاً من مجلس الشيوخ ... ولم يكن بالإمكان عمل أي شيء في الامبراطورية دون موافقتهن. وهذا النظام لم يكن سوى تحويل السلطة من سلطة مستبدة إلى حكم أفضل. ولقد حاز على رضى الشعب والجيش ومجلس الشيوخ. قبل كل شيء تمت اعادة نصب الآلهة التي نقلها ذاك الامبراطور ايلاجابال، كما أعيدت لها معابدها، وعهدوا إلى أكثر الناس ثقافة وسعة أفق بإدارة شؤون الدولة وتنظيم القضايا القانونية، أما شؤون الجيش فقد عهد بها إلى قادة مجربين تميزوا في خدمتهم العسكرية. (Herodiah, 6.1.1-4)

وبتسجيل جوليا مايسا وابنتها جوليا ماميا احترامهما اللائق للآباء الشيوخ، ذلك الاحترام الذي كان المبدأ المعلن للحكم الجديد، فإنهما احتفظتا لنفسهما باليد العليا على الحكومة والإدارة والسياسة العامة وحتى على الجيش، وبذلك لم يكن أية مقاومة تخشى من مجلس تم تملقه بهذا الاحترام الذي أسند إليه من جديد، ولا من الامبراطور الصغير الذي مازال تحت رعاية جدته وأمه (بابليون، 1987، 252-253). والذي كان أهم ما يشغل بالهما ، حيث كانت سعادة العالم الروماني أو شقاؤه يعتمد في النهاية عليه. وبذلك فأن الإسكندر سرعان ما أقنعه حسن الادراك بمزايا الفضيلة ولذة المعرفة وضرورة العمل وبذل الجهد، كما أن الثقافة وفلسفة الطبيعة جعلته أكثر رقةً واعتدالاً في المزاج وعملت على حمايته من نزوات الانفعال واغواء الرذيلة، كما وقى احترامه الذي لم يتحول لأمه وتقديره لأولبيان الحكيم من سموم الملق والنفاق.

ويبرز دور جوليا مايسا وجوليا ماميا في السجل اليومي لأعمال الإسكندر حيث كانت صورة بهيجة لإمبراطور مهذب، فكان يستيقظ من نومه مبكراً، ويخصص وقت الصباح لتعبده الخاص، ثم قضاء ساعات طويلة في مجلسه، حيث يناقش الشؤون العامة،

وبيت في القضايا الخاصة، في صبر وحصافة تفوقان سنه(جيبون، 1997، 141)، كما كان دائماً يخصص جزءاً من وقته لدراسته المحببة لتخفيف شقوة العمل، في الشعر والفلسفة، وشكلت مؤلفات فرجيل، وهوراس وجمهورية أفلاطون وكتب شيشرون في الواجبات والدولة، سيرة الإسكندر الأكبر الذي كان يسعى بشكل خاص إلى التشبه به، كل هذا رفع من ذوقه ووسعت مداركه، وزودته بأنبل الفكر عن الانسان والحكومة (The Life of Severus Alexander,2.30).

**2. دور جوليا ماميا في ضل حكم ابنها الإسكندر:**

لقد مثلت جوليا ماميا صورة مشرفة لسلالة الامبراطوريات السوريات، فبعد أن تُركت وحيدة بعد وفاة أمها جوليا ماسيا التي توفيت في عام 226م، إلى جانب ابنها الذي كان مطيعاً لها، أخذت على عاتقها المهمة التي فُرضت عليها.

وقد أعطي اسمها إلى كتيبة فرسان الحرس، فهي الأوغستا، وربما كان منذ عهد سبتيموس سفيريوس حيث تلقت هذا التكريم مع جوليا مايسا وأختها جوليا سوايماس في الوقت نفسه، وهي أيضاً الأم الكونية ، وأم الجنود والمعسكرات.

كانت جوليا ماميا تعرف كيف تعتني بشعبيتها، حيث صورت نفسها على ميدالية من البرونز وهي صورة نصفية مجنحة ومتوجة تقدم نفسها للعبادة، وهي تمسك قرن الرخاء وزينتها بالهلال مختلطة بالعناية الإلهية التي تؤمن السعادة والهناءة، بذلك أرادت أن تجعل من هذه الرغبة حقيقة، من خلال تغيير السياسة تجاه مجلس الشيوخ الذي لطالما أسيء إليه في عهد سبتيموس سفيروس وخلفائه، فلا شيء كان يتم بدون موافقتهم وتوجيهاتهم الرسمية، أما بالنسبة للبريتوريين فلم يمارس عليهم أية سلطة حقيقية ولم يوح إليهم في أفضل الأحوال إلا باحترام مهذب، كما كانت تكريسات المعابد والنصب للإسكندر وأمه تؤكد اتفاق كل قوى الدولة على احترامهما، والدليل على ذلك أنه في عام 227–228م وبمناسبة مرض الإسكندر، أظهر البريتوريون تمنياتهم الطيبة وقاموا بالدعاء من أجل صحته وصحة جوليا ماميا، كما تم تكريس معبد للعائلة السيفيرية في جيميلا في عهدهم. وهذا يعبر عن الاحترام الكبير الذّين تمتعا بهما(بابليون،1987، 255–256).

وبالنسبة للأعمال التي قامت بها نذكر أنه من شدة الحرص على الأمور المالية ، قامت بالقضاء على الفساد، وتوفير الأموال في الخزينة الذي بدوره أدى إلى انقاص الضرائب وتشجيع الفلاحين لإنتاج المواد الغذائية، وبنفس الوقت عملت على ضبط الأسعار والاهتمام بعدم التلاعب بها، ففي أثناء قلة لحم البقر ولحم الخنزير، أصدرت مرسوم امبراطوري بمنع ذبح البقر والعجول والخنازير الصغيرة، وبذلك أصبح عدد الحيوانات في تزايد بالتدريج.

كما عملت على اصلاح الإدارة العامة، فكان من العادة لكل قاض أو وال يتولى الحكم أن يحتفل بهذه الوظيفة احتفالات مكلفة ومجالدات يُدفع تكاليفها من جيبه، ولكن في ظل النظام الاصلاحي الجديد بقيت الحفلات للترفيه عن الشعب كما كانت ولكن الدولة هي التي اصبحت تدفع التكاليف وكذلك نقل الوالي وحاشيته.

وعملت أيضاً كخالتها جوليا دومنا على دراسة كل الأديان واختيار الأفضل من كل دين ومزجها كلها في مجموعة جيدة من المعتقدات، حيث يجد الجميع الملاذ والصدق، وإذا كانت تختلف عن خالتها، فكان ذلك بالعطف العظيم على المسيحيين واليهود، ففي المعبد الصغير في القصر، كان هناك تماثيل للآلهة الرومانية وكذلك للمسيح ولإبراهيم الخليل، فضلاً عن الأبطال الوثنيين والمعلمين مثل الاسكندر الكبير وارفيوس وابوللونيوس، فكانت الديانة المسيحية محترمة في ظل حكم الأميرات السوريات (تورتون، 1987، 210–211)

وبذلك اتسم عهد الإسكندر وأمه جوليا ماميا بالعدل والتسامح، فلم يذكر أبداً أنه تم اراقة الدماء وهذا ما يؤكه هادريان بقوله:" دخل العام الرابع عشر من حكمه دون إراقة دماء، ولا يمكن لأحد أن يقول إن الإمبراطور كان مسؤولاً عن مقتل أي شخص. على

الرغم من إدانة الرجال بجرائم خطيرة، إلا أنه منحهم العفو لتجنب إعدامهم، ولم يتصرف أي إمبراطور في عصرنا، بعد حكم ماركوس، بهذه الطريقة أو يُظهر هذا القدر من الاهتمام بالحياة البشرية. في الواقع، على مدى سنوات عديدة، لم يكن أحد يستطيع أن يتذكر أن الإسكندر قد حكم على أي رجل بالموت دون محاكمة" (Herodian,6.1.7 )

**3. نهاية حكم الأسرة السورية:**

لم تسلم الأسرة السورية من الأحقاد التي لاحقتها منذ قتل الامبراطور كراكلا، فالحقد ملئ قلوب الجنود وخاصة بعد أن حُرموا من الرشوات والهدايا والهبات القديمة، وكانت جوليا ماميا تفتقر إلى قدرة والدتها على السيطرة على الحرس البريتوري أيضاً. وجاءت الفرصة سانحة لهم بالتخلص من الإسكندر ووالدته التي بخلت عليهم بالأموال أثناء الحروب التي شارك بها الإسكندر، عندما توجه الإسكندر وجوليا ماميا في نهاية عام 234م إلى بلاد الغال، وقدم عروض السلام على الجرمان ، لكن هذه العروض رُفضت، وشعر الجيش بالإهانة والفشل، وفي هذه الأثناء ظهر قائد تراقي اسمه مكسيمينوس ( ***Maximinus***) وذو نسب وضيع فرض نفسه على الجنود، فنادوا به امبراطوراً وزحفوا إلى خيمة الامبراطور وقاموا بذبحه مع والدته (بابليون، 1987، 282−287)، وهنا يتحدث هيروديان عن هذا الحدث الجلل فيقول:

في البداية أطاعه الجنود، لكنهم سرعان ما غادروا الميدان ورفضوا القتال. وطالب البعض بإعدام القائد العام للجيش ورفاق الإسكندر، بدعوى أنهم مسؤولون عن الثورة. وأدان آخرون والدة الإمبراطور الجشعة لأنها قطعت أموالهم، واحتقروا الإسكندر لتفاهته وبخله في مسألة الهدايا. كان الإسكندر يرتجف من الخوف، وبالكاد كان قادرًا على التقاعد في مسكنه. متشبثًا بأمه، كما يقولون، يتذمر ويندب أنها كانت المسؤولة عن وفاته، وينتظر جلاده. بعد أن تم التحية له كإمبراطور من قبل الجيش بأكمله، أرسل ماكسيمينوس العديد من قادة المئات لقتل الإسكندر وأمه، جنباً إلى جنب مع أي من أتباعه الذين عارضوهم (Herodian, 6.9.4-6)

وبذلك كان هذا هو المصير الذي لقيه الإسكندر وأمه بعد أن حكم أربعة عشر عاماً دون لوم أو إراقة دماء بقدر ما أثر ذلك على رعاياه. كان بعيداً عن الوحشية والقتل والمخالفة للقانون، وكان معروفاً بإحسانه وأعماله الصالحة. ولذلك فمن الممكن تماماً أن يكون عهد الإسكندر قد اكتسب شهرة لكماله لولا جشع والدته (Herodian, 6.9.8). وبمقتل الإسكندر ووالدته جوليا ماميا تنتهي حكم الأسرة السورية المتمثلة بالأميرات السوريات اللواتي حكمن الامبراطورية الرومانية بأرجائها الواسعة حكماً يتبدى بالحزم والسيطرة على مقاليد الأمور وتكريم العلماء واحترام مجلس الشيوخ والتوقف عند رأيه، وكذلك احترام الديانة والمعابد الرومانية، بالإضافة إلى إدخال المؤثرات الشرقية التي صبغوا فيها روما.

**رابعاً: الأثار التي خلفتها الأسرة السورية الحاكمة في روما:**

**1− من الناحية العسكرية:**

أشاع سبتيموس سيفيروس الديمقراطية بين صفوف الجيش، من حيث تجنيد عسكره في الولايات، وفي فتح أبواب المناصب الادارية أمام عدد أكبر من أبناء الولايات (تورتون، 1987، 20).

كما تقرب كراكلا من العساكر وحاول جاهداً أن يظهر كواحد منهم، فعمل على زيادة رواتبهم، واعطاء الهبات السخية للعساكر المسرحين، ويرجح أنه أراد بناء امبراطوريته ليس على الطبقات العليا بل على الطبقات الدنيا وعلى ممثليها وهم الجنود، الأمر الذي أدى زيادة العداء والسخط عليه من الطبقات العليا وأعضاء مجلس الشيوخ، وربما أراد شراء ولاء الجند وتعضيدهم له بعد مقتل أخيه جيتا، غير ذلك أنه أظهر علانية ازدرائه وعداءه لطبقات الملاك والمفكرين (رستوفتزف، 493−494)، وهذا مايؤكده ديو بقول كراكلا وهي " ليس لأحد سواي الحق في اقتناء الأموال، وانما أقتنيها لكي أمنحها جنودي" (Dio cassius, 78.10.4)

**2- من الناحية الدينية:**

كانت جوليا دومنا تشاطر وتقاسم زوجها سبتيموس في الأفكار والطقوس الدينية لذلك ساعدته في بناء المعابد في روما، الأمر الذي أثار عليه موجة من النقد واللوم. لكن في أثينا سنحت له الفرصة لإشباع وارضاء رغباتهما واهتماماتهما (تورتون، 1987، 20).

إدخال الامبراطور ايلاجابال عبادة إله الشمس (ايلاغابال) إلى روما ومعابدها وجعله الإله الرئيسي فيها وأعطاها الشرعية الكاملة للممارستها في روما، وكذلك إدخاله للطقوس الشرقية في عبادته.

**3- المدن السورية:**

لقد منحت المدن السورية في النصف الثاني من القرن الثاني والنصف الاول من القرن الثالث وبدعم من الأميرات السوريات امتيازات عديدة، ففي عهد كراكلا أصبحت انطاكية مستعمرة معفاة من الأتاوات وفي عهد ايلاغابال أخذت لقب ميتروكولونيا، وحصلت مدينة صور على وضع مستعمرة من سيبتيموس سيفيريوس، ونفس اللقب حصلت عليه اللاذقية، كما تحولت.صيدا وبترا إلى مستعمرتين وحصلت بترا أيضاً على لقب ميتروكولونيا، اما بصرى فقد أصبحت مستعمرة في عهد الاسكندر سيفيريوس.

كما سعت ارستقراطية المدن ومن معها من الفئات الوسطى والدنيا من المجتمع إلى الحفاظ على نظام البوليسات وترسيخ دعائمه ضمن اطار الامبراطورية الرومانية، حيث أراد الأرستقراطيين الحفاظ على مواقعهم في المجتمع السوري، وبينما الفئات الاخرى أرادت التخلص من الفقر والحاجة والاضطهاد (شيفمان، 1987، 246).

**4- سكان الامبراطورية:**

أعطى الامبراطور كراكلا حق المواطنية الرومانية لكل سكان الامبراطورية، ولكن الهدف وراء هذا المرسوم لم يكن واضحاً، ف يقول الاتجاه المعادي للإمبراطور: أن هدفه الأساسي كان توسيع دائرة دافعي الضرائب وبالتالي زيادة دخل الخزينة الامبراطورية، وهذا ممكن في ظل حاجته للأموال ليصرفها على جنوده.

أياً يكن وراء هذا المرسوم فإن أهميته تجاوزت حدود السياسة المالية، فقد توج عملية تحويل كل الأراضي التابعة للامبراطورية إلى ***Orbis romanks***، كما وجعل كل قاطنيها مواطنين رومان، بعد أن كانوا تابعين للسلطة الامبراطورية، وبذلك تكون القاعدة الاجتماعية للسلطة الرومانية قد توسعت إلى أقصى حد ممكن(شيفمان، 1987، 170).

**5- مجلس الشيوخ:**

بلغ عدد أعضاء مجلس الشيوخ السوريين رقماً عالياً نسبياً، حيث بلغ في عهد سيبتيموس سيفريوس وابنه كراكلا 2.2%، - وذلك بتأثير جوليا دومنا- وهذا ما يسمح لهم بالتأثير جدياً على مجرى الأحدث في الامبراطورية وسوريا (شيفمان، 1987، 238).

**6- التعليم:**

كانت سياسة جوليا دومنا وجوليا مايسا وجوليا ماميا خلال حكم كراكلا واسكندر تتجه نحو الطبقات الدنيا حيث اهتموا بتعليمهم ووضعوا تشريع خاص بالمدارس، فيمثل القرن الثالث الذروة في نشر التعليم الابتدائي في جميع أرجاء الامبراطورية، حيث عُثر على أوراق بردى في مصر تستخدم كنصوص مقررة على التلاميذ، وفي عهد الإسكندر أصبحوا المدرسين يشكلون طبقة هامة (رستوفتزف،1957، 504).

**خامساً: زنوبيا ملكة تدمر.**

**1. حياة زنوبيا:**

ولدت زنوبيا في تدمر، وهي ابنة أمير عربي من صميدع، وعرفت بأسماء عدة فقد ذكرتها الكتابات التدمرية بإسم (بت زباي) (***Bath-Zabbay***). (طلاس، 1989، 159). واسم زينب، وعندما تزوجت من أذينة سيبتيموس (***Septimus Odenathus***) ألزمها القانون بلقب جديد (سبتيما– زنوبيا). وكانت تناديها مربيتها ومرضعتها "مباركة" باسم "زبيداء" (سيميوت، 1991، 10–11).. وقيل إنها كانت جميلة بشكل لا يصدق، وكانت ذات بشرة داكنة وأسنان بيضاء لامعة مثل عقد من اللؤلؤ(Lightman ,2008, 336 ).

نالت زنوبيا تعليماً كتعليم معظم نساء الطبقة الميسورة فمنذ سن السابعة كانت تعرف صبغ الأحجار بالحبر وتثلم نهايات الأقلام، وتصفف شعرها ، كما كانت تعرف رمي القرص وامتطاء الجياد والجمال. كما قرأت لجميع الكتاب الإغريق أو اللاتين الجيدين وهنا أدعى معلمها " أوليموس" بأنها أصبحت عالمة بالأمور أكثر من الامبراطورية السورية العظيمة "جوليا دومنا". وأيضاً كتبت الشعر، وقبل زواجها بسنة كتبت قصة إغريقية قصيرة حيث كانت تختصر في محتواها دروس العزيز "أوليموس" معلم اللغة الإغريقية.

وكان من الضروري في مدينة تدمر معرفة القراءة والكتابة والحساب، وخاصة أن تدمر تعج بحركة تجارية نشطة، وذلك للظهور بمظهر العارف. كم أن التبادل التجاري في المدينة كان يدفع الأهل لتسجيل أبنائهم في المدارس ، لأن كل فرد يحلم في أن يصبح يوماً ما ثرياً لبناء قصر له من الرخام وعمل تمثال لنفسه.

كما أن زنوبيا لم تدخل المدارس لأن والدها عضو مجلس الشيوخ(عمرو) كان لديه الامكانيات المادية لإحضار مدرس لابنته، ففي سن العاشرة كانت تحفظ فهرساً طويلاً بالكلمات وما يقابلها في اللغات الإغريقية واللاتينية والآرامية. وكان من معلميها العجوز (مولاق) ومدرس اللاتينية (كورنيليوس) ومدرس الإغريقية (العزيز أوليموس) (سيميوت، 1991، 13–14)..

**2. زواج زنوبيا.**

- أذينة (***Septimus Odenathus***):

كان أذينة (***Septimus Odenathus***) شيخاً من أنبل وأغنى شيوخ المجلس الروماني في تدمر (Palmyra)، قام بالتصدي لملك الفرس شابور– في الوقت الذي كانت فرائص الشرق ترتعد خوفاً لمجرد ذكر اسمه وخاصة بعد أن أخذ الامبراطور الروماني فاليريان (***Licinius Valerianus***) أسيراً – بإرسال قافلة كبيرة من الجمال محملة بأندر السلع وأثمنها ومعها رسالة كريمة منه، وكان جواب الملك أن يقضي عليه وينشر الدمار في بلده، وبذلك جرى اللقاء المسلح بينهما، وقام أذينة ( ***Septimus Odenathus***) بتطويق جيش شابور من كل الاتجاهات بجيش صغير جمعه من قرى سوريا ومن خيام الصحراء، فأعاق انسحاب الفرس واحتجز جزءاً من كنوزهم، وعدداً من نساء الملك المعظم الذي اضطر إلى أن يعبر الفرات ثانية في شيء من العجلة والاضطراب.

وبذلك وضع أذينة (***Septimus Odenathus***)أسس شهرته وثروته واحتفظ لروما بعظمتها التي امتهنها الفرس. (جيبون،1997، 178)، فمنحه مجلس الشيوخ لقب أوغسطس وسط مظاهر الاستحسان العام من الشعب الروماني، وبموافقة

الامبراطور جالينوس (Gallienus)* (260 _ 268م) الذي لم يصدق أن ملكاً على محمية صحراوية صغيرة تابعة له يستطيع هزيمة عدو باغ مثل الملك الفارسي شابور، ولهذا انهال عليه بالألقاب الشرفية والتكريمية مثل لقب "مصلح كل الشرق" (***Corrector totius Orientis***) في عام 262م، وأصدر مرسوماً بتعيينه القائد الأعلى لجميع القوات التابعة لروما في الشرق الأدنى (الناصري، 1991 ، 370–371). وحصل على لقب "مجدد الشرق كله" (**Restitutor totius orienyts**) ولقب "ملك الملوك" (شيفمان، 1987، 250)، اضافة أنه عهد إليه بحكومة الشرق بدرجة من الاستقلال، حتى أنه أوصى بها لأرملته زنوبيا وكأنها تركة وراثية (جيبون، 1997، 182)، وهنا نرى عجز الأباطرة الرومان عن القضاء على استقلالية تدمر، مما دفعهم لعمل كل ما من شأنه أن يبقيها، ولو شكلياً في إطار الامبراطورية الرومانية وكسب ود حكامها (شيفمان، 1987، 248). وبالنسبة لأذينة (***Septimus Odenathus***) فقد بقي على ولائه واخلاصه للإمبراطور، ويُبرر سلوكه أنه لم يكن يهدف إلا إلى اضفاء الصبغة القانونية على سلطته التي كان قد اغتصبها عملياً (شيفمان، 1987، 253)

- **الزواج:**

أصبحت زنوبيا زوجة (سبتيموس – أذينة) (***Septimus Odenathus***) وكانت تبلغ من العمر قرابة العشرين عاماً وزوجها قرابة الستين عاماً. وكان الشخصية الأولى في تدمر، حيث ترتجف أمامه جموع المواطنين، وبالكاد يجرؤون على لفظ اسمه بصوت عال. أما زنوبيا فلم تستطع مناداته باسمه "سبتيموس" ليس مرد ذلك لأنه الأول من بين الأباطرة السيفيريين السوريين الذي منح امتيازاً له ولعائلته. بل كرهاً شديداً للرومان وما يمثلونه ولألقاب الشرق الملون الوجوه، ولما فعلوه بهم (سيميوت، 1991، 9–10)..

رافقت زنوبيا زوجها في إدارة شؤون الإمارة ورحلات الصيد التي كان أوذينة في غاية السرور بممارسة الصيد، ولم يقل تلهف زنوبيا على هذه التسلية الخطرة عن تلهفه، وقد عودت جسمها وبنيتها على التعب والجهد واحتقرت استخدام عربة مكشوفة، وظهرت بصفة عامة في لباس عسكري ممتطية جواداً، كما سارت أحياناً على قدميها عدة أميال على رأس القوات.

نُسب نجاح أذينة (***Septimus Odenathus***)إلى حد كبير إلى حسن بصر زنوبيا بالأمور وجلدها وثباتها، وكلها صفات منقطعة النظير، ووضعت أسس وحدة الشهرة والقوة بينهما، تلك الانتصارات الرائعة على الملك المعظم الذي تعقبوه مرتين إلى أبواب طيسفون (Ctesiphon) (المائن حالياً)، ولم تعترف الجيوش التي توليا قيادتها، أو الولايات التي أنقذاها بأي سيد آخر سوى هذين الرئيسين اللذين لا يقهران، حتى أن جالينوس ارتضاه زميلا شرعياً له (جيبون، 1997، 190)

**3. تبوأ زنوبيا العرش:**

وصل ملك الملوك أذينة (***Septimus Odenathus***)بتدمر إلى مستوى دولة يحسب حسابها، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً ففي عام266م تم إغتياله مع ابنه سبتيموس هيرودس من زوجته الأولى، والذي كان قد اختاره وريثاً له، في مدينة حمص أو بجوارها، وكانت ظروف وأسباب ذلك الاغتيال غامضة، فهناك احتمال لا تدعمه الأدلة ، أن زوجته زنوبيا كانت لها يد في ذلك، واحتمال آخر أن ابن أخيه معني الذي أراد استرجاع ملك أبيه المغتصب كانت له علاقة بالأمر، كما لا يستبعد أن يكون للفرس يد في

* جالينوس (Gallienus): تولى الحكم بالاشتراك مع أبيه فاليريانوس الأول (Licinius Valerianus) في عام (253–268 م) وحكموا بانسجام تام حتى وفاة الأب في عام 260 م، وتعتبر فترة حكمه من أشد عصور الامبراطورية حرجاً، حيث بدأت بكارثة قومية تجلت بهجوم القوط على طول الراين والدانوب، واتحدت القبائل الالمانية في وادي الدانوب الأدنى عرفت باسم الفرنجة، وتوحدت قبائل الراين في جبهة الالمان والماكروماني، وفي الشرق الأوسط غزت قوات الفرس بقيادة الملك شابور الأول (Shapur) ولاية ما بين النهرين وسوريا وكابادوكيا. بالإضافة إلى هجوم القراصنة على طرق التجارة، وانتشار الأوبئة في مصر ، ونشوب الزلازل والبراكين في آسيا الصغرى وايطاليا. للمزيد انظر (الناصري،1991 ، 365–366).

مقتله لا سيما بعد الأحداث التي أذلت الفرس وهدتهم في حاضرتهم(الحلو، 1999، 341)؛ (الجنابي، 2008، 203). ويقال: إن الرومان عندما أدركوا مدى القوة التي وصل إليها أذينة (***Septimus Odenathus***) مع استمرار بقاء ولائه مخلصاً للرومان ولو ظاهرياً، بادروا إلى تدبير مؤامرة للتخلص منه إنقاذاً لإمبراطوريتهم (تسازونوف ، 2001، 27_ 28). إلا أن السر الحقيقي لذلك الاغتيال ضاع للأبد.

ولكن مهما تضاربت الآراء فإن اغتيال أُذينة (***Septimus Odenathus***) أدى إلى صعود نجم زنوبيا الوصية على طفلها الصغير وهب اللات(***Wahab-allat***) وريث الملك، وأعطته لقب "أغسطس" الذي لم يكن الامبراطور جالينوس يريد أن يمنحه اياه، ولقبت نفسها "أوغسطا".

لقد استطاعت زنوبيا أن تتولى الحكم بالوصاية على ابنها وهب اللات، وقد استغلت ما آلت إليها ظروف الامبراطورية لتحقيق طموحها الجامح في تكوين دولة (مملكة ) عربية تحت زعامتها، وخاصة في ظل ضعف وشّدة الإهمال التي اتصف بهما الإمبراطور الروماني جالينوس، واستولى عليها شعور بأنها ملكة الشرق، واطلقت على نفسها هذه الصفة، وقد تفوقت في طموحها وتأثيرها على كل ملكات العصر القديم. وكانت في المناسبات الرسمية تلبس أزياء الرجال وتتخذ الرداء الأرجواني كالأباطرة الرومان.

أما مراسيم البلاط الملكي فكانت متأثرة بنظام أكاسرة الفرس. ولذا كان على الزائرين أن يحيوها بالسجود إلى الأرض. (الحلو، 1999، 343).

وقد حكمت زنوبيا مدة طويلة، ليس بطريقة أنثوية أو بطريقة امرأة، ولكنها تفوقت في الشجاعة والمهارة على جالينوس وحده، – الذي كان يمكن لأي فتاة أن تحكم أكثر منه نجاحًا–، بل كان يفوق حكمها أيضاً العديد من الأباطرة. أما جالينوس فلما علم بمقتل أوديناثوس استعد للحرب مع الفرس. انتقاماً متأخراً جداً لوالده – وجمع جيشًا بمساعدة الجنرال هيراكليانوس، ولعب دور الأمير الماهر. لكن هرقليانوس هذا، عندما انطلق ضد الفرس، هزمه التدمريون وخسر كل القوات التي جمعها، لأن زنوبيا كانت تحكم تدمر ومعظم الشرق بقوة رجل (Historia Augusta, Gallieni, 13.1-5)

وقد تطلعت زنوبيا بطموحها إلى تثبيت دعائم حكمها في ولاية سورية عندما أدركت بفطنتها أنه لا بد من استغلال الفوضى العارمة التي تتعرض لها الإمبراطورية الرومانية ، فأخذت تتقرب من العناصر العربية التي استوطنت في المدن السورية فضلاً عن الأعراب الذين كانت ترى فيهم عمادها في القتال وسندها في الحرب (سليم ،1992، 226).

ولكن لابد وأن زنوبيا كانت تمتلك شخصية قيادية مؤثرة جعلتها قادرة على أن تستأثر لنفسها بالسلطة ، وتتصرف بها كالحاكم المنفرد ، لتغدو المحرك الأساسي للحركات التدمرية المناهضة (Schlumberger, 1985, 255– 260).

### 4. الاستيلاء على المدن السورية.

#### أ. الاستيلاء على بصرى:

أرادت زنوبيا الاتجاه نحو المدن السورية لتثبيت دعائم حكمها بحيث تدين هذه المدن جميعاً بالولاء لحكمها، حتى ولو اضطرت لاستخدام القوة، وظهر ذلك جلياً من خلال أعمال العنف التي قامت بها القوات التدمرية الموالية لها عام 270/269م عندما هاجموا جنوب بصرى (***Busra***) (David, 1997, 16)، ودمروا معبد كبير آلهة روما (***Jupiter Hammon***) (Speidel, 1997 , 723). ولكي تعكس امتداد سيطرتها أمرت بإقامة نصب حجرية نقش عليها شعارات تكريم وهب اللات وتلقبه بالقائد الروماني دوق

***(Dux Romanorum*** ) وذلك على امتداد من خمسة عشر إلى عشرين ميلاً من جنوب بصرى (***Busrta)*** حيث امتدت سيطرة تدمر إلى هناك (F.Long , 1997, 25).

**ب. الاستيلاء على أنطاكية:**

تقع مدينة انطاكية في شمال سوريا، وكان لها السبق الكبير في حياة الترف حيث احتفظت بامتياز الحكم الذاتي والذي حازته في زمن السلوقيين، ولكنها تجردت من ذلك وأصبحت تابعة لمدينة اللاذقية في عهد الامبراطور سيبتيموس سفيروس (Septimius Severus) (145–211م)، ثم أصبحت ثالث مدينة في الامبراطورية بعد روما والاسكندرية في زمن يوسيفوس (حتي، 1999، 334).

إلا أنها لم تسلم أنطاكية من قبضة زنوبيا، وظهر التناحر جلياً بين أهالي مدينة أنطاكية، ومما خفف من وطأة وحدة الأنطاكيين تجاه السيطرة التدمرية الجديدة التي تزعمتها زنوبيا هو وجود أبرز قادتها الأسقف بولس السميساطي الذي كان يمثل مصالح العنصر السوري أكثر من مصالح العنصر الاغريقي _ الروماني، وقد أسندت إليه في أنطاكية المهام الدينية والمدنية على حد سواء، وقد ساند زنوبيا في سياسته الدينية لتخفيف حدّة الأنطاكيين ضدها، وكان يتمتع بتأييد تدمري ويؤدي مهام المندوب المفوّض عنها في حكم أنطاكية، كما كان يحظى بتأييد فئات معينة – فقراء المسيحيين – وهي الفئة التي نشأ منها هو نفسه لهذا كان هناك ظاهرة الحقد في نفوس الأنطاكيين حيال هذه السلطة وظهرت جلياً عندما بدأت بادرة من بوادر ضعف هذه القوة لتنحاز تجاه الاقوى المتمثّل بالسلطة الرومانية، حيث كان هناك فئة تسعى لأن تصبح انطاكية نفسها في الواجهة السياسية والاقتصادية (شيفمان 1987، 256–257).

**ج. الاستيلاء على حمص:**

تقع مدينة حمص على العاصي جنوبي أفاميا، واحتفظت بحكامها الوطنيين من الملوك الكهنة خلال فترة الحكم الروماني.

وكان هناك تنافراً ما بين تدمر وحمص، والذي لم يقتصر على الناحية السياسية فحسب، بل لأن تدمر قد غدت المقر الرئيسي لقادة وجيوش الشرق رغم أن حمص اشتهرت ، كما اشتهرت تدمر بجنودها المتفوقين في فرق الجيش الروماني، بل شملت أيضاً شهرتها الناحية الدينية، حيث نال معبد بعل شهرة كبيرة عندما وصل أحد كهنتها وهو بسيانوس (Bassianus) إلى عرش القياصرة وعين امبراطوراً (218–222م) وسمي إيلاجابالوس (Elagabalus) نسبةً إلى إله الشمس (Elagabal) في مدينة حمص (حتي، 1999، 341)، كما شمل التنافر أيضاً الناحية الاقتصادية _ التجارية (أسعد 1940، 340_345). على اعتبار أن حمص تتوسط المدن السورية التجارية التي تعبر من خلالها القوافل التجارية المارة إلى المتوسط أو تجاه الشرق كمحطة تجارية لا يمكن الاستغناء عنها (غانية، 1996، 213_ 218)..

وعلى هذا فإن المدن السورية على اختلاف أهميتها ومصالحها فقد خضعت جميعها للقوة العسكرية التدمرية بزعامة زنوبيا، وفي عام 270 م سقطت مصر تحت سيطرتها، كما بسطت سيطرتها على آسيا الصغرى (شيفمان، 1987، 255)

**رابعاً: النزاع الروماني التدمري:**

كانت بداية النزاع الروماني _ التدمري في أواخر عهد الإمبراطور جالينوس في عام 268م عندما وقع أول صدام بين الفرق التدمرية ووحدات الفرق الرومانية المتمركزة على الحدود الفارسية _ الرومانية، بحجة أن هذه الفرق أرسلت لمجابهة الفرس، وسرعان ما أدركت زنوبيا أهدافها ، فدارت معركة صغيرة ، كتب النصر فيها لقواتها وحاقت الهزيمة بالفرق الرومانية التي غدت تفكر ملياً بماهية تحركات الفرق التدمرية.

وأمام مخاوف زنوبيا من استغلال الفرس هذه المنازعات ، عمدت إلى إنشاء حصن منيع على نهر الفرات لتقوية حدود مملكتها دعته باسمها ( حصن زنوبيا )• على اعتبار أن ولاية سورية عامة غدت تحت نفوذها مع الاعتراف بالولاء للإمبراطور الروماني آنذاك أورليان (270_275م)* الذي تربّع على العرش الروماني بعد كفاح في المسار العسكري (The life of Aurelian , 1932, 1.2 , 3.1).

فعندما آل الحكم لأورليان وجد أن الإمبراطورية تحيط بها الأخطار والعثرات من كل جانب، فهنالك الجند الذين اتخذوا من عمليات الاغتيال والسلب والنهب مهنة لهم ، وهجمات القوط والجرمان التي أجبرته على الانسحاب إلى ما وراء نهر الدانوب ، رغم كل المساعدات التي قدّمها قائد الحامية المقيم في مصر بروبرس (***Probus***)، وانتشار الأوبئة والأمراض في صفوف الجند ، فضلاً عن التمردات الداخلية في الشرق التي كان على رأسها القوات التدمرية بزعامة زنوبيا (ورث، 1999، 185).

إزاء كل هذا كان على أورليان أنّ يباشر في إعادة الاستقرار والأمن لأجزاء الامبراطورية في قسمها الغربي، فبعد طلب المشورة من مجلس الشيوخ، قام بتوسيع أسوار روما(The life of Aurelian, 21 .9) ، أما زنوبيا فقد امتد طموحها نحو الأفق فبعد أن تمكنت من ترسيخ دعائم حكمها على ولاية سورية (تسازوفون 2001، 32)، وضمنت ولاء الجند التدمري لخدمتها، وانشغال الإمبراطور الروماني عن أمور الشرق، وجدت كل ذلك ملاذاً لتحقيق مآربها والبدء بعدة خطوات في ثبات وحذر لتقطع علاقتها نهائياً مع الدولة الرومانية (Sijpestrign 1982 , 194):

– الخطوة الأولى من القطيعة: أعلنت للملأ منح ابنها وهب اللات لقب (***Imperator***) على أن تضرب عملة عليها صورة وهب اللات وعلى الطرف الآخر صورة الإمبراطور أورليان (GawiKowski, 1971, 415)

وفي هذا إشارة إلى أهداف زنوبيا في تحقيق مبتغاها بهدوء وتريّث ، ويبدو من الطبيعي أن تدنو زنوبيا من مآربها تدريجياً خطوة بخطوة، ولما رأت مظاهر الاستكانة من قبل الامبراطور أورليان بادرت باستغلال الفرصة في توجيه أنظارها نحو ولاية مصر.

– الخطوة الثانية من القطيعة: ومهّدت لمآربها لدى سكان هذه الولاية أنها جاءت لتعيد مجد الملكة كليوباترا العظيم لتلك الولاية التي اشتهرت منذ وقت مبكر في علاقاتها التجارية مع القوافل التدمرية. وقد أدركت زنوبيا مدى أهمية مصر الاقتصادية بالنسبة للإمبراطورية الرومانية ، لأنها تعتبر المصدر الأول والأساسي لتصدير القمح إلى روما (سارة، 2008 ، 401)، الذي يؤمن مؤونة معظم الجيش الروماني ناهيك عن سيطرتها على الطريق التجاري بين الهند والبحر الأحمر (Johanson, 1951, 140-141) ولا سيما الميناء التجاري الهام بمدينة الإسكندرية الذي عن طريقه تعبر السلع والمنتجات متخذة طريقها نحو الموانئ السورية، وعلى هذا أمرت أبرز قادتها القائد التدمري زبدا (***Zabada***) • بالتوجه وقواته نحو الإسكندرية (وود، 1993_ ص 26)، تحرك الجيش التدمري بقيادة القائد زبدا، وهو يضم قوة قيل إنها تتكون من 70 الف فارس، ووصل إلى مصر، وأقام حامية في الاسكندرية،

---

• يقع (حصن زنوبيا ) في الجهة الجنوبية من الفرات من الجانب الشامي وتقابلها من الجهة الشمالية قلعة زابية، وجُلّ الأبنية في قلعة حلبية مبنية من الصخر الأسود وذلك لوقوع الحصن على سطح جبل الحمة قرب دير الزور حالياً انظر للمزيد : العرفي، عقيل : صفحات من تاريخ قلعتي حلبية وزلبية ، الحوليات مج 43، 1983، ص 212 _ 231).

* اورليان (Aurelianus): بعد وفاة الامبراطور كلاوديوس القوطي انتخبت القيادة الجديدة اورليان امبراطوراً وكان يشغل منصب قائد الفرسان المدرعة، واشترك في الحرب ضد القوط، وتمرس في الجندية حتى أصبح خبيراً بالحرب، صارماً، حتى أطلق عليه رفاقه لقب "اليد على السيف" (Manus ad Ferrum)، وقام باستعادة ممتلكات الامبراطورية، لذا أُطلق عليه لقب مستعيد العالم الروماني (restitor urbis). انظر للمزيد: (الناصري، 1991، 376–377).

• زبد : كلمة في اللغة العربية الجنوبية وتعني ( هو _ الله _ أعطى) وتكتب في الرومانية _ اللاتينية (Zobos ) ، أنظر (طلاس، 1989 ، 162).

وسكّت النقود التدمرية لأول مرة في هذه المدينة سنة 270م، وعليها رأس وهب اللات إلى جانب رأس الإمبراطور الروماني أورليان، مما يدل على أن زنوبيا لم تفكر حتى هذا التاريخ بالانفصال عن روما، إلا أن الوفاق التدمري _ الروماني لم يدم طويلاً إذ سرعان ما أدرك الإمبراطور أورليان مدى خطورة دخول زنوبيا مصر واستيلائها على الإسكندرية التي تعتبر من أهم مدن الامبراطورية الرومانية ، مما جعله يظهر بمظهر الرجل غير القادر على إرضاء الناس وأنه آثر حملاته ضد القبائل الجرمانية البربرية حول الدانوب (270 _ 271م ) عن مواجهة الأخطار المحدقة بالشرق بزعامة زنوبيا التي أدركت بنظرتها الثاقبة أهمية الإسراع لاستغلال الظروف لمباغتة أورليان(طلاس ، 1989 ، 162).

– الخطوة الثالثة من القطيعة: والتي تمثلت علناً في اتخاذها لنفسها لقب (Augusta) وارتدت الملابس الملكية ، واتخذت الرداء الأرجواني كالأباطرة الرومان لتغدو كقياصرة الرمان في لقبها، وأكاسرة الفرس في ملكها، حتى أن مراسم بلاطها الملكي تأثر إلى حد كبير بنظام الفرس، ويرز هذا جلياً من خلال قدوم الزائرين إليها فكانوا يحيّونها بالسجود لها، وقد ملأت بلاطها الملكي بالكثير من المجوهرات والحلي ، بالإضافة إلى الخوذة الخاصة بالإمبراطور الروماني (الحلو،1999، 322). وأعلنت باسم ابنها أن تدمر دولة مستقلة تماماً، واتخذ وهب اللات لنفسه لقب "ملك الملوك"، وفي سنة 270 م وجهت قائدها "زبدا" على راس جيش إلى مصر والذي قام باحتلال الاسكندرية وخلع حاكمها وأقام حامية تدمرية فيها. (الحلو،1999، 343)

– الخطوة الرابعة من القطيعة: كانت في 29 آب 271م عندما صكّت نقوداً في الاسكندرية ومدن سورية تظهر فيها صورة وهب اللات على إحدى وجهي العملة وحده مع اللقب الامبراطوري والتاج متألقاً بمنزلة أغسطس(***Augusta***) ، وعلى الوجه الآخر وجه زنوبيا ( The life of Aurelian, 31.2.1932) . ويفهم من هذه الخطوة الجريئة التي أقدمت عليها رغبتها أن تكون سلطتها مماثلة في وصفها لسلطة جوليا دومنا بعد وفاة زوجها سبتيميوس سيفيروس أو على الأقل كانت من وجهة نظر الأعراف والتقاليد الرومانية. فقد حافظت هي وابنها على الألقاب الملكية الشرقية كما فعل أذينة (***Septimus Odenathus***)، كما أنها كانت تطالب بالسلطة الامبراطورية والسلطة الملكية، ولم تكتفي بذلك بل مزجت بين صفات الحكم الروماني والحكم الملكي الفارسي في القصر التدمري (شيفمان، 1987، 255).

– الخطوة الخمسة والأخيرة في مراحل القطيعة: حيث اتخذتها وهي مدركة مدى التحدي الذي تقوم به ضد الإمبراطور الروماني أورليان، فقامت بإرسال جيش كبير بقيادة القائدان "زبدا" و"زباي" إلى آسيا الصغرى ليعود بالنصر لها في إخضاع أجزاء واسعة امتدت حتى وصلت على مقربة من خلقدونية في الغرب في عام 271م (الحلو،1999، 343).

وبذلك تكون زنوبيا قد بلغت إلى ما تطمح إليه من المجد الذي كان نموذجاً فريداً في تغيير مجرى الأمور ليس على مدينة تدمر فحسب بل على العالم الروماني بأسره، فقد انتقلت ببلدتها الصغيرة القابعة في الصحراء إلى دولة يحسب لها حساب، وفي ذلك يقول روبرت وود: مدينة صحراوية امتلكت بلاداً تمتد من مصر جنوباً إلى البحر الأسود شمالاً (وود، 1993، 27).

**سادساً: استعادة أورليان وحدة الامبراطورية:**

رأينا سابقاً إلى أي مدى وصلت إليه هيمنة الملكة زنوبيا حيث وصلت قواتها حتى البحر الأسود شمالاً واستطاعت ملكة البادية أن تشكل لنفسها ولابنها، إمبراطورية عربية متحررة من سيطرة الرومان _ لكنها كانت إمبراطورية قصيرة الأجل.

فما برحت زنوبيا تهنأ بهذا المجد الذي وصلت إليه خلال فترة قصيرة ، حتى غدا البلاط الملكي تقترب منه العاصفة دون أن تحسب لها حساب، لانشغالها بعظمة الانتصار، حيث أن الإمبراطور أورليان الذي كان مهادناً بالظاهر ، مقرّاً لما يجري من حوله، لعدم قدرته على القيام بفعل معاكس بسبب انشغاله بتدبير شؤون الإمبراطورية في قسمها الغربي خلال عامي (270_271) وأثبت

مقدرته العسكرية بالانتصار على القوط والجرمان والكاربيين عند الدانوب (***Danube***)، ولكن قد بات واضحاً أن الحرب بين الامبراطورية الرومانية والمملكة التدمرية أصبحت وشيكة الوقوع.

فبعد أن أمّن أورليان مداخل روما غرباً، ورأى ما آلت إليه الأجزاء الشرقية بزعامة زنوبيا، أدرك ما تمثله هذه المملكة بنفوذها من تهديد لحكمه ، لذلك فقد حشد قواته وقاد جيشه بنفسه في عام 271م،

وفي هذه الأثناء أرسل جيشاً منيعاً بقيادة بروبوس (***Probus***) إلى مصر لطرد القوات التدمرية منها، ونظراً لنقصان الاحتياطات التدمرية الاقتصادية وتذبذب مناصري زنوبيا الذين تراجعوا وغدا الجيش التدمري وحده يقاتل الرومان مما أدى إلى انتصار الجيش الروماني بزعامة بروبوس في معركة ليست بالكبرى، تمكّن على أثرها من إخراج مصر من قبضة زنوبيا التي بدأت تشعر بالارتياب لانتصارات جيوش أورليان ولتذبذب آراء مناصريها (Grafton, 1924 , 75-76).

وفي عام 272م هزم الجيوش التدمرية وأجبرها على الجلاء عن آسيا الصغرى، ثم دخل انطاكية (شيفمان،1987، 255)، وعندما بدت دلائل التعب تظهر على جيش زنوبيا، باغتتهم الفرق الرومانية الخفيفة وأطبقت على الجند وأعملوا فيهم السيوف، فهرب منهم من استطاع الفرار، وعندما وصلت لزبدا معلومات تؤكد احتمال نشوء هيجان لدى سكان أنطاكيا، أدرك زبدا أن أهالي أنطاكية في حال هزيمة الجيوش التدمرية سيثورون ضد زنوبيا وجندها، وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بوجود مجموعات معادية لزنوبيا من سكان أنطاكية الذين سيهمّون لنصرة الرومان، ولا سيما بعد معرفتهم بتفوق الجيش الروماني فهذا من شأنه أن يحث أهالي المدينة على الانقلاب ضد الحكم (البني، دون تاريخ، ص29).

أما زنوبيا فقد توفرت لديها إمكانية استغلال النزاع الديني الناشئ بين مسيحي أنطاكية لخدمة السياسة التدمرية، وقررت مع القائد زبدا الهروب من أنطاكية ليلاً تحت جنح الظلام مع من تبقّى من الجنود تاركين ورائهم حامية لحماية المؤخرة متخذين الطريق المار بدفنه (Daphna) وأفاميا (Aphamia) وحماة (Epiphanian) وحمص (شيمفان، 1987، 256)، واتخذت قوة الحماية هذه موقعاً حصيناً على مرتفع يشرف على دفنه، وحالما سمع أورليان بنبأ انسحاب زنوبيا عدّل من خطّته التي وضعها للهجوم على أنطاكية التي فتحت أبوابها لأورليان ورحّبت به، ولاسيما بعد أن أعلن عفواً عاماً على سكان المدينة فعاد منهم من لاذ بالفرار وأمر جنوده بعدم نهب المدينة أو تدميرها ودون مشقة تم ازاحة حامية تدمر بموقعها الحصين عند دفنه (Daphne)، ثم تقدم اورليان نحو حمص، حيث تراجع السوريون على أمل عبثي في الحصول على المساعدة الفارسية، وتعقّب البقية الباقية التي هرعت مع زنوبيا إلى حمص في أغسطس/ آب 272 م والمؤلفين من الخيالة الثقال وقوات المشاة التدمرية المكونة بغالبيتهم من الرماة المدججين بالسلاح(Bouchier,1915,146-147).

أما أهالي حمص فقد استقبلوا أورليان بحماس ظاهر، ولا يُفهم هذا التصرف والحماس من أهالي حمص إلا لكون اورليان دخلها منتصراً، وربما يكون الأمل في إحياء عهد الأسرة السيفيرية هو السبب (شيفمان، 1987، 257)

كما أن أورليان قد حصل بالفعل على وعد بالنصر من خلال رؤية إلهية ما، وعند زيارته لمعبد الشمس في حمص اعترف بأنه تعرف على Elagabal الذي فسّر له رؤياه بالانتصار. لذلك لم يقم فقط بإنشاء المزيد من الأضرحة للإله في حمص، بل أيضا قام ببناء عند عودته إلى روما معبدً للشمس، تم فيه الجمع بين الطقوس السورية والفارسية (Bouchier,1915, 147 ).

استغل أورليان الاضطراب العام الذي دب في صفوف الفرسان التدمريين، وأوقعوا بهم الهزيمة ولاسيما أن سكان حمص لم تبد أي مقاومة تذكر. وتمكنت زنوبيا من الفرار إلى مدينتها تدمر التي غدت الملجأ الاخير لها وفيها تحصّنت داخل أسوارها المنيعة وأخذت تعد العدة من جديد للمعركة الحاسمة (جيبون، 1997، 192_193).

وقد أدرك أورليان أن النصر الحقيقي له لن يكون دون القبض على زنوبيا ودخوله مدينة تدمر وجعلها جزءاً خاصاً للنفوذ الروماني ، لذلك توجه إلى تدمر مسرعاً لقطع الطريق عليها في كسب الوقت واقتحامها، وفي أثناء مسيرته اشترك بعدة معارك مع ألوية سورية، وتعرض لعدة اصابات (The life of Aurelian, 1932, 26. 1) .

وحدثت خلال الحصار مناوشات بالسهام بين المدافعين والمهاجمين وقد تعرض أورليان لخطر كبير أثناء الحصار حيث أصيب بسهم (The life of Aurelian, 1932, 26. 1) ، حيث كل جزء من سور المدينة كان مزوداً باثنين أو بثلاثة من المنجنيقات ورماة السهام.

واستمدت زنوبيا صلابتها من الأمل في أن ترغم الجيش الروماني على التقهقر ومغادرة الصحراء ، إلا أن آمالها كانت عكس ما توقعت، فقد استمر أورليان بحصاره لهذه المدينة المحصنة بل وحاول إضعاف إرادة القتال لدى الملكة زنوبيا، فكتب لها رسالة جاء فيها:

«من إمبراطور العالم الروماني، أورليان، قاهر الشرق، إلى زنوبيا وحلفائها، لقد طالت الحرب وعليكِ أن تستسلمي إذا كُنتِ تبغين تحاشي بطش المنتصر، وإذا استسلمت فلكي سلامتك وسلامة أصحابك ، وبإمكانك أن تعيشي وأسرتك في مدينة يعينها لك مجلس الشيوخ، أما تدمر فإني أتعهد أن تظل محتفظة بحقوقها السياسية والإدارية جميعها، مقابل أن تدفعي لخزانة روما أموالك وجواهرك من الذهب والأحجار الكريمة والحرير والخيل والجمال»(The life of Aurelian, 1932, 26.7) .

وأجابت الملكة زنوبيا بفخر واعتزاز على رسالة أورليان:

"من زنوبيا(**Zenobia**) ملكة الشرق، إلى أورليان أوغست(**Aurelian Augustus**): لم يتجرأ أحد قبلك أن يطلب مني الاستسلام، ففي الحرب يحسم كل شيء بالشجاعة، ألا تعلم أن كليوباترا فضّلت الموت كملكة على أن تعيش بذل؟ إن أشقياء سورية قد قهروا جيشك، وإن قواتك تتحطم على أسوار مدينتي، ستأتينا إمدادات من فارس، ومن كل جانب، عندئذٍ ستتوقف عن غرورك ، وستمتنع عن طلب استسلامي كما لو كنت منتصراً في كل مكان" (The life of Aurelian, 1932, 27. 2) .

عند تلقي هذه الرسالة لم يشعر أورليان بالخجل، بل شعر بالغضب، وفي الحال جمع جنوده وقادته من كل جانب وحاصر تدمر؛ واهتم هذا الرجل الشجاع بكل ما بدا ناقصًا أو مهملاً. لأنه قطع التعزيزات التي أرسلها الفرس، وعبث بقوات العرب والأرمن ، وجلبهم إلى جانبه ، بعضها بالقوة والبعض بالمكر. أخيراً، بجهد جبار، غزا تلك المرأة القوية (The life of Aurelian, 1932, 28. 1-2)، لذلك وجدت نفسها وحدها دون مُنجد من الأحلاف، حتى الجيش التدمري قد ألمّ به الضعف لاستمرار فترة الحصار عليهم ، فعزمت على ترك مصير المدينة للأقدار، وقررت الفرار ليلاً متسللة للوصول إلى ملك الفرس علّه يسارع في نجدتها ويغير من موقفها المهزوم (الحلو،1999، ص 349)، ثم هربت زنوبيا ، على الجمال، ولكن أثناء سعيها للوصول إلى الفرس، تم أسرها من قبل الفرسان الذي أُرسلوا ورائها، وبالتالي تم إحضارها إلى أورليان **Aurelian**.

وهكذا كان أورليان، المنتصر والممتلك للشرق بأسره، أكثر فخراً ووقاحة الآن بعد أن ربط زنوبيا بالسلاسل، وتعامل مع الفرس والأرمن والعرب حسب احتياجاته المناسبة (The life of Aurelian, 28.3).

وما كان من أورليان أن دخل المدينة ووضع يده على غنائم كثيرة، وأجمل ما فيها من مجوهرات ونفائس، وفرض على سكانها غرامة حربية، وأمر بهدم جدران القلعة والكثير من معابدها، وجمع ما تبقى من ثروات وخزانة زنوبيا ونقلها إلى روما حيث قدمها كنفائس لمعبد جوبيتر في روما.

اعتبر أورليان أن المسؤول الأول عن سياسة زنوبيا. الاستقلالية هو وزيرها ومستشارها لونجينوس الحمصي (***Langinus***) وآخرون من المستشارين، لذلك نسب له تهمة تحريض زنوبيا على كتابة أجوبتها الجافة على العروض السلمية التي قدمها الامبراطور لها، فأمر بإعدامه مع المستشارين الآخرين (The life of Aurelian, 30.3). ثم انسحب أورليان بعد أن ترك في المدينة حاكماً رومانياً ومعه حامية عسكرية، وما كاد يصل إلى الهلسبونت ***Hellespont*** (الاسم القديم لمضيق الدردنيل) في طريقه إلى أوروبا حتى فوجئ بأنباء قيام ثورة في تدمر رفعت رايات العصيان من جديد ، وقتلوا الحاكم الذي أبقاه فيها وتغلّبوا على الحامية الرومانية التي تركها هناك .

وعيّنوا ***Apsoeus Antiochust*** (أحد أقرباء زنوبيا) ملكاً على المدينة (وود، 1993، 49) وهو الذي تزعم هذه المقاومة ، فما كان من أورليان إلا أن ولّى وجهه مسرعاً آخذاً شطر سورية، وقد روّعت أنطاكية لاقترابه، وأدركت تدمر العاجزة وطأة حنقه حيث تمكن من إخماد الثورة وتركها نهباً لجنوده يسلبونها بعد أن أمر بتدمير مبانيها ومعالمها (جيبون، 1997، ص 195)، ولم تستطع تدمر (***Palmira***) أن تحيا بنفسها ثانية، فبعد التدمير الذي لحق بها على أيدي الجند، لم تقم فيها العمارة قط ( Browning, 1975 , 49-50)، وغدا مصيرها كسابقتها (البتراء) حيث أهمل طريق البادية التجاري نتيجة فقدان الأمن وتقلص وزوال الثروة الاقتصادية التي كانت عماد تجارة تدمر وثرائها هذا طبعاً نتيجة عمليات السلب والنهب الذي قام بها الجيش الروماني ، بالإضافة إلى تدهور الأحوال المادية لدى العائلات والأسر التدمرية المالكة في تدمر والتي كانت دافعاً لمغادرة تدمر بحثاً عن مورد تجاري آخر لها في مكان آخر (Degeorge, 2001. 103).

**سابعاً: مصرع الملكة زنوبيا:**

تضاربت الروايات حول مصرع الملكة زنوبيا فهناك رواية تذكر أن الجند طالبوا الامبراطور أورليان يقتل زنوبيا بعد إلقاء القبض عليها ، لكن أورليان وقّرها لموكب النصر الذي يريد أن يحتفي به، فدخل روما في عام 274 م وأقام موكباً لم يسبق له مثيل، سار فيه الجنود وأعضاء مجلس الشيوخ ، والفيلة والأسرى من مختلف المناطق ومعهم تسير زنوبيا وهي مكبّلة بالسلاسل.

وتشير رواية أخرى أن أورليان قد أحسن معاملتها ووفّر لها مكاناً في تيبور( ***Tibur***) ضاحية في روما، قضت فيها بقية حياتها، ورواية أخرى تقول أنها ماتت أثناء الرحلة إلى روما (F. long, 1997, 45)، وأخرى تقول أنها تزوجت هناك ( أي في تيبور ***Tibur***) من أحد أعضاء مجلس الشيوخ وأنجبت أولاداً، وأقام معها في فيلا قرب قصر الامبراطور (هادريان). وبذلك لا نعرف كيف كانت نهاية هذه الملكة العظيمة التي هزت أركان الامبراطورية الرومانية، والتي لو كان الحظ حليفها لانتصرت على أورليان وتربعت على عرش الامبراطورية كاملة وغيرت بهذا وجه التاريخ إلى زماننا هذا .

ولكن سقوط زنوبيا أدى إلى نتائج هامة وهي خلق انعطاف حاد في التطور السياسي لسوريا، حيث أحدثت مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية التي كانت تحدد اتجاهات حركة المجتمع السوري في النصف الثاني من القرن الثالث انقلاباً عاماً في الأهداف التي صاغتها لنضالها وصراعها، لقد أصبحت هذه القوى تسعى لتأسيس مملكة على الطراز الفارسي أي حكم ملكي مطلق، لكنها مع ذلك لجأت إلى استخدام المدن ذات الإدارة الذاتية لمصلحة أهدافها. وترجع الأسباب في ذلك إلى أسباب خارجية تمثلت بضعف الامبراطورية الرومانية وترك سوريا فريسة أمام الفرس، وكذلك أسباب داخلية تمثلت بالانقلابات العسكرية المتكررة والصراع على السلطة بين مجلس الشيوخ والجيش، وعصيان الجند، وهنا تصبح السلطة المركزية المطلقة الممثل الوحيد للنظام في هذه الفوضى(شيفمان، 1987، 257).

وبذلك أنتهى حكم النساء السوريات لروما بموت زنوبيا، الذي تميز حكمهن بالعدالة والتسامح والقوة في مواجهة الأعداء، وأيضاً بالذكاء والحزم في اتخاذ التدابير اللازمة في تسيير أمور الامبراطورية، وانطوت صفحة مشرفة لتاريخ النساء السوريات، اللواتي مثّلن وإلى الآن ماهية المرأة السورية، وأنها تستطيع أن تكون الأم والجدة والابنة والزوجة وحاكمة دولة وقائدة للجيوش في المعارك، وصامدةً في كل مناحي الحياة، والتي ماتزال إلى الآن صامدةً في مواجهة كل الظروف.

## الخاتمة:

شاءت الظروف أن يتبوأ سيبيتيموس سيفيروس عرش روما مع زوجته السورية جوليا دومنا، لتحكم الأسرة السورية من بعده، ويكون لها أكبر الأثر في الامبراطورية الرومانية إن كان في ادخال عبادة ايلاغابال إله الشمس إلى معابد روما من الناحية الدينية، أو من ناحية الجيش من حيث تجنيد العساكر في الولايات، وفي فتح أبواب المناصب الادارية أمام عدد أكبر من أبناء الولايات، وزيادة رواتبهم وتقديم الهبات لهم، كما تم نشر التعليم من خلال زيادة عدد المدارس والمدرسين، وأيضاً زيادة عدد أعضاء مجلس الشيوخ من السوريين.

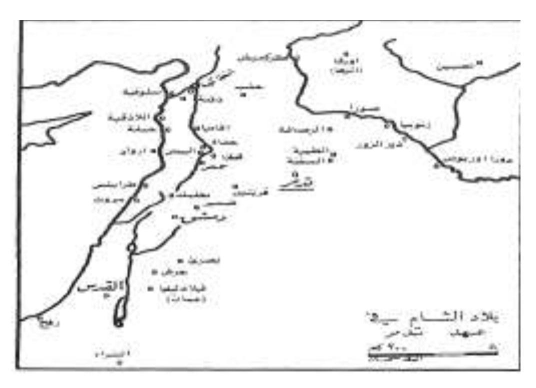
وربما لو استمرت هذه الأسرة بالحكم لتغير وجه التاريخ كله، ولكن يد الحقد والكراهية طالتها وانطفأت لمعة من لمعات تاريخ سوريا المشرف.

كما كانت السياسة الاقتصادية للإمبراطورية الرومانية هي سبب وعامل مهم في الازدهار الأسطوري الذي حققته تدمر، والتي أصبحت فيه تدمر مدينة التجارة والقوافل خلال القرون الثلاثة الأولى وامتد نفوذها إلى كافة أرجاء الامبراطورية.

وبموت ملكة تدمر زنوبيا نستطيع أن نقول أنه انطفأ النجم الذي أضاء سماء الشرق من قلب الصحراء، وانطوت صفحة من صفحات المجد المشرقة الخيرة، تلك الصفحة التي أضاءتها امرأة سورية عربية عظيمة استطاعت بحكمتها وقوتها وفكرها الثاقب أن تسجل أمجاداً يشهد لها التاريخ ، واستحقت بجدارة الخلود في الأذهان ، وكانت زنوبيا تستحق يقيناً مصيراً أفضل من هذا المصير ، وكان وطنها تدمر يستحق معاملة أفضل من تلك التي لقيها على أيدي الرومان البرابرة .

كما ونستطيع القول عن الانهيار السريع لمملكة تدمر، أن الممالك التي خلفتها التجارة من الأساس قد تميزت بتاريخ قصير نسبياً والتي كان أبرزها في سوريا: "بترا وتدمر"، بعكس ممالك بلاد الرافدين التي تطورت في البداية على شكل مجتمعات زراعية ومارست من ثم التجارة والصناعة فأصبحت مراكز كبرى وامبراطوريات.

وأيضاً بالمقارنة بين الأسرة السورية بزعامة الأميرات السوريات وزنوبيا ملكة الشرق نجد أن هدفهن واحد وهو نشر الثقافة السورية وادخال العناصر السورية إلى مجلس الشيوخ والحكم، وأخذ زعامة الامبراطورية الرومانية والعالم، والتحرر من التبعية لها.




خارطة تدمر



قلب تدمر القديمة

**الشكل (3) سيميوت، برنار:الأوراق السرية لملكة تدمر زنوبيا، المرجع السابق، ص 140.**

**التمويل:** هذا البحث ممول من قبل جامعة دمشق وفق رقم الممول 50100020595

## المراجع

1. أسعد، عيسى: تاريخ حمص، دمشق، 1940.
2. الجنابي، قيس حاتم: العلاقات السياسية بين تدمر والرومان حتى عام 273م، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، العدد 1، المجلد 16، المؤتمر العلمي العاشر، 2008
3. حاتم، أنور: الذكريات السورية في روما، الحوليات الأثرية العربية السورية، 11-12، 1962.
4. ساره، خليل: تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة دمشق، 2008.
5. صائب، سعد: دور سوريا في بناء الحضارة الانسانية عبر التاريخ القديم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994.
6. العرفي، عقيل: صفحات من تاريخ قلعتي حلبية وزلبية، الحوليات مج 43، 1983.
7. مادون، محمد علي: تفاعلات حضارية على طريق الحرير، دمشق، 1995.
8. الناصري، سيد أحمد علي، تاريخ الامبراطورية الرومانية، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991.
9. ورد، نخلة: حضارة انطاكية عبر العصور، دمشق، 1956.

**المراجع الأجنبية المعربة:**

1) جيبون ، إدوارد: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد أبو درة، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997.
2) حتي ، فيليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد ، الجزءالأول، الطبعة الأولى، ، بيروت، 1999.
3) سيميوت، برنار: اوراق سرية لملكة تدمر زنوبيا، الطبعة الأولى، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، 1991.
4) شيفمان، أ.ش: المجتمع السوري القديم، ترجمة حسان إسحاق، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1987.
5) ماتييف تسازونوف: تدمر مدينة الثائرة زنوبيا، ترجمة يوسف الجهماني، دمشق، 2001.
6) ورث، تشارلز: الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة رمزي جرجس، محمد صقر خفاجة، القاهرة 1999.
7) وود، روبرت: آثار تدمر ، ترجمة ابراهيم أسعد، الطبعة الثانية، دار المعارف، حمص، 1993.

**المصادر الأجنبية:**

1) Cassius Dio, Roman History, 75. Vol. IX, Loeb Classical Library edition, 1927.
2) Herodian: Roman History, Livius.Org, 1955.
3) Historia Augusta, Gallieni, he Loeb Classical Library,1932.
4) Historia Augusta, The Life of Septimius Severus, he Loeb Classical Library1921 .
5) Historia Augusta, The Life of Severus Alexander,the Loeb Classical Library1924.
6) Historia Augusta,The life of Aurelian, part 2, Volume III, the Loeb Classical Library, 1932.

**المراجع الأجنبية:**

1) 270-272, A.D, loy ola university of Chicago, 1997.
1) Bouchier E. S.: Syria As A Roman Province, B. H. Blackwell ,OXFORD, 1915.
2) Browning, Iain: Palmyra, London,1975.
3) David. F . Graf _ Rome and the Arabia Frontier From the Nabataeans to the Saracens , Britain, 1997.
4) Degeorge, Geravd: Palmyra, Metropole Caravanievi Paris, 2001.
5) GawiKowski, Michel : Inscriptions de palmyre , Syria 48 , 1971.
6) Grafton, Milne. J.: A History of Egypt under Roman rule _ London , 1924.
7) Johanson, A. : Egypt and the Roman Empire, USA, 1951.
8) Lightman ,Marjorie: A to Z of Ancient Greek and Roman Women , Facts On File, Incorporated, 2008.
9) M. Speidel, The Roman Army in Arabia, ANKW, II. 8, 1997.
10) Schlumberger. Daniel : Les Princes De Palmyre, Syria 62, 1985.
11) Sijpestrign : Future Remarks on Imperial titlps in the papyri _ zpE. 45. 1982.